5ـ الاتجاه الالتزامي

مدخل:

يقصد النقاد بالالتزام في هذا الاتجاه مدى التزام الشاعر بالقضايا التي تهم وطنه ومجتمعه ومن ثمّ «وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا قومه الوطنية والإنسانية، وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال»[1].

ويدعو إلى هذا الاتجاه مذهبان من مذاهب الأدب، هما: الواقعية الاشتراكية، والوجودية.

وعلى الرغم من الاختلاف الجوهري بين هذين المذهبين، فإن كلاً منهما يلزم الشاعر بالاشتراك في مشكلات المجتمع، والاهتمام بالمضمون وأثره في تبصير الشعوب والأفراد بواقعهم، وتحميلهم المسؤولية تجاه الحياة والمجتمع، كما يجعلان المتعة الفنية في الأدب وسيلة لغايات إنسانية من أجل تحرير الإنسان.

كما يتحتم على الشاعر أن يهتم بالحقائق الكونية والاجتماعية من حيث صداها في النفس، بحيث يعرض المسائل والمشكلات من خلال ذاته «يضيق بها، أو يهرب من مواجهتها في خواطره النفسية وآماله المنشودة، ولكنه هروب فيه معنى السخط والنفور، مما يصبغ هذا الهرب صبغة إيجابية اجتماعية في نتائجها، ولكنها نفسية في جوهرها ومنشئها»(2)؛ ولكن ليس المراد من ذلك «تقييد الشاعر بالقيم الاجتماعية السائدة، إذ قد يكون لا مبرر لها، ولا أن نلزمه بقيم اجتماعية خاصة، إذ إن ميدان الشعر الذات والوجدان»[3]؛ وعلى هذا لا يمكن أن

(1) النقد الأدبي الحديث؛ محمد غنيمي هلال. ص: 484.

(2) المرجع السابق؛ ص: 491.

(3) المرجع السابق؛ ص: 393.

يفرض على الشاعر جانب معين في تجاربه، لأن له أن يتناول منها ما يشاء، ليصور تصويرا إيحائيا فنيا ما يتناول من تجارب، لأنه يستجيب إلى إحساسه ووجدانه[1].

ونظرا لما لهذا الاتجاه من أهمية لدى الشاعر ومن ثمّ لدى الناقد فقد رأيت أن أبدأ بمبحث تناول النقاد للقضايا الاجتماعية ثم الوطنية ثم القومية ثم الإنسانية.

1.5. القضايا الاجتماعية

وفي هذا الجانب أتناول الدراسات التي تحدثت عن القضايا الاجتماعية التالية:

1- قضايا المرأة.
2- قضية الفقـــر.
3- قضية العلم والأخلاق.

1.1.5. قضايا المرأة:

لقد أولى الشعراء والنقاد المرأة اهتماما كبيرا، فتناولوا قضاياها ومشكلاتها الاجتماعية في أشعارهم ودراساتهم، لأنهم يرون في المرأة الأم والحبيبة، المرأة الشريفة والوضيعة.

من هذا المنطلق نجد العديد من النقاد الذين اهتموا بالشعر الذي يمجد المرأة الأم كما في حديث نجم الدين الكيب عن شعر علي صدقي عبد القادر الذي يرى فيه أن الشاعر «قد أفرد اهتماما خاصا بالأم أولاً، وبالمرأة بعامة ثانيا، وعلى الرغم من أنه قد فارقها منذ زمن بعيد إلا أنه لا يزال يعيش في تلازم دائم مع أطيافها، فحبه لها لا يفتر لهيبه المقدس في قلبه على مر السنين والأعوام، وهذا هو السرّ الذي يجعلك لا تجد ديوانا من دواوينه دون أن تحتل (أمه) سيرتها العطرة فيه، وهذه واحدة من قصائده[2] نراها وقد سيطرت أطيافها على وجدانه، حتى إنه قد خيل إليه -ذات مرة- أنه رآها بجسمها ورَسْمِها في ساحة من ساحات إحدى المدن الكبيرة، فحَسِبَها أمه وقد خرجت من القبر، فاندفع يجدّ في إثرها مناديا:

---

(1) انظر: المرجع السابق؛ ص: 391.

(2) قصيدة (لك يا أمي) من ديوان صرخة؛ الأعمال الشعرية الكاملة، علي صدقي عبد القادر، المجلد الأول، الطبعة الأولى 1985، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - ليبيا. ص:191.

تعالي أنت يا أمي
ولم تسمع
ولم تنظر إلى صوتي
ولو نظرت
رأته حاملا أوراق زيتونة...»[1].

كما يتناول أحمد العنيزي قصيدة (ذكرى أمي) للشاعر علي الرقيعي التي يرثي فيها أمه، ويستعيد ذكرياتها، فهي قصيدة «تحفل بالقيم الإنسانية المتمثلة في الأم، التي كانت ولا تزال ينبوع الحنان والعطف والرّقة.. الأم التي افتقدها وافتقد معها العاطفة الخالدة المتمثلة في الأمومة:

آه يـــا أمـــي الحبيبـــة لـــو ألقـــاك طيفـــاً ولـــو رهـــين نـــدوب
أغمر القلب لحظة في انتشـــاء في انعطاف وفي حنـــــــان رطيـــب

***

إن في حـــضنك الحنـــون عزائـــي وسروري وخمـــرتي وعيـــوبي
أنت أنت الوفاء مذ متِ، ماتت سلوة القلب في وجودي الرهيب»[2].

في هذا اعتراف بفضل الأم واحترام لحقوقها، ولكي تنال الأم هذا التقديس والاحترام، ينبغي أن تؤدي دورها وتقوم بواجبها بأن تهتم بأبنائها حتى تنشئ جيلا صالحا يقدس رباط الأسرة ويمجده، ويسهم في بناء المجتمع الذي تسوده المحبة والوئام، فعن تربية الأم لطفلها يرى عبد الوهاب الحراري من خلال قصيدة الشاعر مصطفي العربي التي بعنوان (شكوى طفل) من ديوانه الورد الأبيض أن الشاعر خاطب «قلب الأم التي جردت من الإنسانية بإيداعها لطفلها فلذة كبدها في دار الرعاية، ليعيش محروما من حنانها وقلبها ورعايتها وحبها فجاء عجز القصيدة:

قلب الطفل يا أماه
قلب الطفل الملقى في دار حضانة

(1) علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب؛ ص: 141، 142.

(2) ديوان الحنين الظامئ مولد شاعر؛ مجلة النور العدد 6 السنة الأولى نوفمبر 1957. ص: 10.

ضيقة مثل الزنزانة
يشكو للعالم أحزانه..

فهذه الأبيات أجاد الشاعر بناءها الشعري ببراعة وإبداع متناهٍ، وشخصيا أعتبرها أروع لوحاته الشعرية، فقد لمست فيها صدق المعاناة وأصالة الانتماء والإبداع، والارتباط الحقيقي بإحدى قضايا الوطن، بعيدا عن الزيف والدجل والتمويه والخداع»[1].

إن هذه القضية وهي قسوة قلوب الأمهات وترك الأطفال عرضة للضياع تهم المجتمع بأسره، لأن الأطفال هم جيل المستقبل، وبهم يبني المجتمع، ويتمثل وجه الإبداع في هذه القصيدة أن أبياتها تحرك عاطفة كل من يقرأها بتصويرها للمأساة تصويرا دقيقا.

فإذا طرقنا باباً آخر لدى المرأة، وجدنا المرأة الحبيبة، مصدر الحب والجمال، وفي هذا الصدد تطالعنا أشعار حسن السوسي التي تبدو المرأة فيها مصدر عشق وإلهام، حيث يشير لهذا الأمـر أحمد بدوي في مقدمة ديوان (الفراشة) إذ يعد «الشاعر – في حقيقة الأمر – عاشق جمال لا يعشق امرأة بعينها، وإنما يعشق المرأة – الذات– وليس المرأة – الصفات– يجد جمال الذات في كل امرأة»[2].

ويوافقه على هذا الرأي عبد الجواد عباس «فقد كان الشاعر يدوس على شهواته ولا يتبع نفسه هواها، إنه يحترم وضعه الاجتماعي، لا يدع النزوات تسيء إلى سنه، بل إنه يقرر إذا جمعته الصدفة مع المرأة فلا تزيدها رفقته إلا شرفاً وعزاً ؛ يقول في ذلك:

لم يعبهـا أنهـا سـارت معـي ... فهـي بنـت المجـد أخـت الـشرف
وأنـا بـالعمر أفـدي عمرهـا ... أن أراهـا في شـفاه المرجـف
فهـي عينـي أتـرى أطرفهـا ... مثلهـا لـو ضـيعت لم تخلـف
لـم نكـن إلا صديقيـن علـى ... شرف النبـل ونبـل الشـرف»[3]

(1) قراءات في الشعر الثوري؛ ص:122.

(2) ديوان الفراشة؛ حسن السوسي، الطبعة الأولى 1988، مطابع الثورة للطباعة والنشر- بنغازي، منشورات مركز دراسات الثقافة العربية. ص: 7.

(3) (قراءات في الحب من ديوان الفراشة)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد: 64، 65 أغسطس/ سبتمبر1993. ص:179.

كما ينادي بهذا الرأي عذاب الركابي مؤكدا أن «امرأة -السوسي- دائما في وداع، وهذا ما جعلها دائما بعيدة في كل قصائده، فهي قد تأتي وقد لا تأتي، المهم أنه بانتظارها، وفي هذا الانتظار يذهب العمر، تجف أشجاره، يودع ورده الندي، وعصافيره الغنّاءة، وتثقل الساعات، تطول وتزداد الليالي حلكة، فالعزاء الوحيد هو في هذه القصائد، الابتهالات الشعرية الجميلة الرقيقة:

وحـــان الفـــراق فودعتهـــا ... عـــلى أمـــل لـــو تتـــاح الوســـيلهْ
وألقـــت في يـــدها بعـــض مـــا ... يـــذكر مـــن قـــد تأيّـــا رحيلـــهْ
فـــسالت عـــلى خـــدها دمعتـــان ... تـــولتهما بـــالأكف البليلـــهْ
قـــد احتـــدم الـــشوق لكننـــا ... حيـــاء أبينـــا عقـــوق الفـــضيلهْ
هـــي احترمـــت حرمـــات الـــصبا ... وإني احترمـــت وقـــار الكهولـــهْ
وذلـــك غايـــة مـــا بيننـــا ... وهذا الكتاب ختمنـــا فصولـــهْ»[1]

ومن الحب العذري العفيف، وذلك العشق الطاهر في أشعار علي الرقيعي ما تناوله مفتاح الشريف في قصيدة (هينمات الأمس) حيث «يشعر بأن الفراغ قد امتلأ، وأن الجدب قد اخضوضر حين تحسس خفقة الحب تدمدم بين جنبيه، وتذكي فيه الذكريات إلى الحبيب الذي جواه، وأن النار في حسه وامض قلبه، فيخاطبه مستجديا:

فأعيدي قصة الحب لتشفيها وتأسي

وحين تمضي في سياق هذه القصائد تدرك بأن الشاعر عفيف في حبه وعنيف في سخطه، فهو عندما يحب نتحسس قلبه يجري ذوبا مع الأبيات حارا لاهبا، وحين يسخط يضع على عينيه نظارة كالحة السواد تعكس في نفسه كل الزوايا القاتمة المربدة، وتحرك فيها أمواجا صاخبة من المرارة واليأس، أما الأمل فإنه لا يجعله يتحسس إلى قلبه السبيل، ولعل قصيدته (أوصاب) خير دليل على ذلك»[2].

ويتناول المرأة الحب والسكن محمد الجويلي في معرض حديثه عن قصيدة (المجانين)

(1) (هل كان حسن السوسي عاشقا)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد السابق. ص: 195، 196.

(2) (الحنين الظامئ)؛ مفتاح الشريف. مجلة الضياء العدد الأول السنة الأولى مارس 1957. ص: 26.

للشاعر خليفة التليسي حيث «يطوف بنا التليسي وسط هذا العالم: كون من الحب، حب المرأة الوطن التي وإن وجدت في واقع الحياة، فهي توجد في واقع الأدب، وتتمتع بوجودها المكثف والحيوي داخل الذاكرة الشعرية فهي من الحاضر والماضي تتراوح بين الذكر والذاكرة، وفي حرارة واقعيتها وتاريخيتها هي أشبه ما تكون بالكائن الأسطوري، خيالها يمتد من عصر الخيل والقوافل والمراكب السندبادية إلى زمن الكتابة والقراءة، هي المرأة شيطان الشعر في كل العصور العربية، ألا تستحق أن تكون وطنا دافئا دفء القصيدة:

كشفت من كنوزها أغلاها　　أنا ما كنت شاعرا لولاهـــا

(ص:246. آخر بيت في الديوان)»[1].

وبما أن الناقد وصفها بأنها شيطان الشعر فإن العديد من الشعراء يرون المرأة شيطانا فعلا إذا تحولت إلى كتلة من الأحقاد والشرور وسعت لنشر السموم والرذيلة فتصير شيطان شر لا شيطان شعر، من ذلك ما نجده في ثنايا قصيدة (حواء) للشاعر علي صدقي عبد القادر التي تناولها أمين مازن بقوله: «يضطرب مفهوم الشاعر حول المرأة، فلا يرى فيها سوى الخرافة الأولى التي تقول بأنها شر لا بد منه، وخطر ينبغي الحيطة منه:

من ترى الشوك الذي أنبت زهرا
والفراش الحائر الطالب أمرا
ها أنا أعلم ذا الساعة سرا
إنما الشوكة أنثى تتعرى
والفراش الرجل الناظر شزرا..

هل هناك دلالة يثيرها مثل هذا النوع من الشعر سوى المفهوم الذي أشرنا إليه»[2].

ويعقب نجم الدين الكيب على القصيدة نفسها ويرى في النهاية أنها «استكشاف لكنه المرأة، ومحاولة لرسم صورة لها من خلال رؤية يحيط بها الشك، ويخالطها الريبة، وعدم الاطمئنان، أو هكذا ما يمكننا أن نستنتجه من قراءتنا السريعة لهذه القصيدة:

(1) (الوطن قصيدة، والقصيدة تتغنى بصباها)؛ مجلة الناشر العربي. العدد 19 / 1991. ص:16.

(2) (رأي في زغاريد ومطر بالفجر)؛ مجلة الرواد العدد 12 ديسمبر 1966. ص: 20.

فتنة المرأة كالرقطاء حولي تتلوى
نصفها نار ونصف من هشيم بات يشوى
بعضها يأكل بعضا ثم يخبو ثم يقوى
وترى بعد رمادا منه حواء تسوى
فتنادي ليس عني يا بني أمي سلوى...»[1].

ويجرّنا هذا للحديث عن المرأة بائعة الهوى التي ألقاها المجتمع وسط الرذيلة نتيجة الفقر والانحلال اللذين تعيشهما تلك المجتمعات، من ذلك ما تناوله الناقد نفسه في قصيدة (صانعة الهوى) من ديوان أحلام وثورة للشاعر علي صدقي عبد القادر الذي يرى أن هذه القصيدة تعبر عن رؤية الشاعر للمجتمع الأوربي وانحلاله «من خلال (المرأة) التي التقاها في (علب الليل) حيث الاندفاع الجامح نحو لذائذ الحياة، وحيث تقدم (المرأة) نفسها هناك سلعة لمن يشتري وهي تنادي على بضاعتها - تماما- كبائع يبغي ترويج سلعته:

ومنها سمعت نداء الجسد ... على مرقد الشهوة المتقد
يصيح تعال، تعال استبد ... بجسمي الذي للقاء استعد
إلام أبيع لكم عفتي؟ ... إلام تساوركم ضجعتي؟
وتهفون شوقا إلى قبلتي ... ألا تسمعون إلى قصتي؟
وترسل بالأغنيات الخليعة ... تذكرنا بشعر (ابن ربيعة)
تقول اشتروا من شبابي ربيعه ... فإني عزمت على أن أبيعه»[2]

كما نجد الشاعر علي الرقيعي يتناول المرأة العاهرة التي يعدها أفعى علمته الرذائل والفجور في عدة قصائد من ديوانه الحنين الظامئ مثل قصائده (إلى واحدة)و(ضحية) ومن خلال هذه النظرة وهذه المعاني يشير أحمد العنيزي إلى أن الشاعر «ينتقل بنا في ذكرياته إلى أنواع أخرى من الحب، الحب الذي يتمثل في المرأة الأجيرة التي تقبض الثمن من عرقه وكدح يومه وضآلة مكسبه، والمرأة الأفعى التي علمته الرذائل، والمرأة التي أغراها بريق الحلي

(1) علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب؛ ص: 130، 131.
(2) علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب؛ ص: 139، 140.

فخانت الوفاء... ولنأخذ مقتطفات من قصيدة (ضحية) التي يقول فيها تأنيبا لتلك التي فرطت في نفسها وغرر بها:

لا تعتبي
أو فاعتبي
ماذا يضير عتاب مقصدك الغبي
فلقد سئمتك إذ تحقق مأربي
فيم انتظارك؟.. فاذهبي.
إلى أن يقول لها في أوج ثورته وهو يدير ظهره لها ناقما:
هلا قبضت الأجر والثمن السخي؟
من كدح يومي.. من ضآلة مكسبي»[1].

ولكن ما سبب هذا التدني الذي وصلت إليه المرأة في بعض المجتمعات من الدعارة والانحلال والفجور.. إن المجتمع هو الذي تقع عليه مسؤولية هذا الضياع والفساد، ويدلل على ذلك أحمد عطية من خلال تناوله لقصيدة (ماريا) للشاعر علي الفزاني من ديوانه رحلة الضياع فـ «عندما يتناول الشاعر قضية المومس التي تحظى بعطف الأدباء لأنها تمثل الرمز السهل الظاهر العفن، والباطن البائس الذي قد يكون طاهرا من الداخل في قصيدته (ماريا) المومس الأوربية، يقرأ في محنتها عفونة الغرب المليء بالذئاب، فماريا برغم عفونتها ضحية، وإذا كانت هذه بغية، فليست وحدها البغية، بل الكل بغايا، والكل ضحايا، ثم لا شيء يبعده عن وطنه، فهو في أحضان العفونة والقذارة والبغاء، يرنو إلى المرأة الجميلة الذليلة التي تنتظر من ينقذها من الذل والتخلف:

نحن عشاق البغايا
نحن؟.. أم هن بغايا؟
(ماريا) الكل بغايا
وضحايا
(ماريا).. في وطني

(1) (مولد شاعر)؛ مجلة النور، العدد: 6 السنة الأولى، نوفمبر 1957. ص: 9.

ألف جميلة
ألف خصر، ألف عين
في مآقيها نداءات ذليلة»[1].

إن المرأة التي تحمل الحقد إنما هو حقد على المجتمع الذي ألقى بها في عالم الرذيلة، وهذا ما عناه محمد دعفوس في تناوله لشعر علي الفزاني الذي يرى أنه مغامر «وكل شاعر بطبعه يمل الرتابة، وكل شاعر في داخله روح قلقة وحالة اضطراب، ولكنها هي الروح التي يستمد منها الشاعر لحظاته، مع ما تراكم لديه من أوهام وأحلام في الحياة:

دقي على الأبواب
مرهقة العينين والأهداب
منهارة الأعصاب
الفارس الزنجي في السرداب
والجنس من أردانه ينساب
والحقد ملء باليَ الثياب
دقي على الأبواب..

وفي هذه الإرهاصة التي يختلط فيها الغرور بالجنس.. وبالنظرة لبني جلدته من الأفارقة، يرفض الشاعر خداع تلك المرأة التي تخفي وراءها حقدا، دون أن تكون هناك حالة من الصدام، وفي هذه القصيدة التي نشم رائحة نزار قباني فيها نعرف من تفكيكها أن الإنسان ذهب ليعرف العالم وليكتسب التجربة»[2].

فإذا التقينا بشعر المرأة وآراء النقاد في مسألة الحجاب والسفور ومشاكل الزواج والقيود الاجتماعية أو الرقيب الاجتماعي، الذي يكبل حرية المرأة، ويحول دون مشاركتها في صنع الحياة، ودون اعتبار لآدميتها وإنسانيتها، وجدنا السبب الذي حذا بالنقاد إلى تلمس الأسباب الكامنة وراء هذا الأمر، لأنه من المعلوم لدى الشعراء «أن المرأة خمر الشعر ورحيقه، يرتشفه

(1) في الأدب الليبي الحديث؛ ص: 30.

(2) (المعاصرة والأسفار والآخرون)؛ مجلة الفصول الأربعة. العدد 64، 65 أغسطس وسبتمبر 1993؛ ص: 68، 69.

الشاعر العاشق فتأخذه نشوة ما يفيق منها إلا وفي فمه لحن سماوي، فهي الوحي الذي يلقي في خلد الشعراء صورا منتزعة من رؤى الأحلام، وسوف نرى في النماذج الآتية -على قلتها- عقدا نظيما يتلألأ في جيد الشعر العربي خفة ودلالا، وروعة وبهاء، ولكنه ليس بالقدر الذي كنت أتوقعه من شعراء ليبيا.

وهنا نتساءل: هل زهدوا في هذا اللون من الشعر؟ قد يكون، ولكن الظروف التي حاقت بهم تنقض هذا الاستنتاج... أم أنفوا خجلا أن يطلعوني على هذا اللون من أشعارهم؟ لأن البيئة محافظة، متمسكة بالتقاليد، وبحجاب المرأة؛ الأمر الذي يدفع بعض المتزمتين أن يعلن الحرب على كل إنسان تسول له نفسه أن يدعو إلى السفور، أو يتشبب بالمرأة.

قد يكون هذا، وقد يجد القارئ أن سمة عواطفهم ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في غزل أو هياما في حب، وهذا الذي كنت أعجب له، وأجري وراءه لعلي أقف منه على شيء لأن بلدا جدّ محافظ، والحجاب على أشده، والاختلاط محرم في الأحياء الوطنية، وعوامل الكبت تفرخ وتبيض بين الشباب، ومع ذلك لا أجد قيتارة تنبض بألم صاحبها أو شدة وجده، وتحكي لنا طهارة حبه وعفافه، اللهم إلا بضعة منهم؛ في مقدمتهم (ابن زكري) الذي فلسف الحب كما في قصيدته التي مطلعها:

روّح الروح، واسقني بمـــدام وأدر ذكر قصة المستهـــــام

وقصيدته التي مطلعها:

رق لمّا هواك عقلي فما يقـــــــ ـدر إلا على رقيق المعانـــي...

والرقيعي الذي هصره الغرام، فلون عاطفته بالرومانتيكية الحزينة، وأقرأ له قصيدته (الجحيم) التي مطلعها:

أنـــا ضـــيعت في الليـــالي أيّـــا مي، وأهرقـت بـالهموم جنـاني
واحتسيت الدموع كأسا دهاقا ملؤها الصاب من أسى أحزاني

وأما دون ذلك فلم أجد فيما وقفت عليه من أشعار إلا نسيبا تقليديا جريا على عادة الشعراء، أو تشبيبا ببعض الإيطاليات والوطنيات فيه مرح وعبث ودعابة»[1].

(1) الشعر والشعراء في ليبيا؛ ص: 97، 98.

وهو كذلك فالبيئة محافظة متمسكة بدينها قبل تقاليدها الذي يدعو المرأة إلى الستر والحجاب، فكيف له أن يصف هؤلاء المتمسكين بدينهم وشرفهم بالمتزمتين فدينهم يأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الرذائل بما في ذلك الدعوة إلى السفور، ثم يتجرأ على هذا البلد العزيز وعلى الدين الإسلامي الحنيف عندما يعلن أن الاختلاط محرم في الأحياء الوطنية ويعجب من ذلك؛ كيف ذاك والإسلام يحرم الاختلاط في كل زمان ومكان.

والواقع أن مشكلة القيود الاجتماعية التي فرضت على المرأة في بلادنا لها صداها وأثرها على الشعراء وبخاصة الشاعر علي الرقيعي الذي أفرد العديد من قصائد ديوانه لهذه القضية، وتداولها النقاد بالدراسة والتمحيص والتحليل؛ من ذلك قصيدة (انعتاق) التي يشير من خلالها إلى هذه القضية مفتاح السيد الشريف حيث وجد «الرقيعي بعد أن لمس أطراف المشكلة، يغوص إلى عمقها؛ ليعيشها ويهضمها ويتفاعل معها تفاعلا واعيا، كما في قصيدة (انعتاق) إذ يقول:

أقحمـي ظلمـة الحيـاة وهبِّـي ... مـن رقـاد الـسنين والأيـام
حطمي القيـد والـسدود تحـدي ... بطشة الجور والـضنى والظـلام

والقصيدة كلها ملتهبة مفعمة بالثورة المريدة البناءة التي يريد الشاعر أن يزرعها في قلب الحبيبة»[1].

ويؤكد على هذا المعنى عبد الوهاب الحراري في حديثه عن هذه القصيدة وما شابهها من القصائد التي تدعو إلى تحرير المرأة من الكبت والظلم والاضطهاد إذ يرى أن «هذه القصائد تتدفق بشيء من طابع الحياة في بلادنا في تلك الفترة، وتصور السجن القاسي العتيد الذي تغرق وتعيش في مدينته المرأة، فالمرأة كانت تقاسي الأمرّين (قيود المجتمع، ونظرة الآخرين) فترى عبر أبياته صدق مشاعره، وروعة تعبيره، ودعوته المتكررة إلى تخفيض المهور، وتحريرها من قيود مزلاج الظلم الاجتماعي، وضرورة مشاركتها في بناء صرح المجتمع مع أخيها الرجل في الحياة العامة:

(1) (الحنين الظامئ)؛ مجلة الضياء. العدد الأول، السنة الأولى. مارس 1957. ص: 39.

أقحمي ظلمة الحياة وهبِّـي من رقاد السنين والأيـام[1]

كما يلتفت خليفة التليسي إلى بعض قضايا المرأة في شعر الرقيعي كذلك ولكن من منطلق آخر حيث يريد لشاعرنا شخصية أصيلة، تحمل «رسالة تتغذى من القضايا التي يهب نفسه لها ويعيش من أجلها، وهو قادر على ذلك، وقادر على أن يحقق ما نريده منه، وهذا الديوان يفصح عن المجهود الضخم الذي يبذله من أجل هذه الشخصية، وبخاصة في بعض قصائده الغزلية التي تحمل شيئا من طابع الحياة في بلادنا، وتصور السجن القاسي العنيد الذي تعيش فيه المرأة الليبية، في هذه القصائد نستطيع أن نلمس صدق الشاعر في تصويره لعواطفه وعواطف المرأة السجينة التي حبسوها عن الحياة، وحجبوها حتى عن الشمس:

نجـواي ويحهـم اسـتباحوا وأدك النـــــزق الغـــــشوم
وتخـــيروا بـــئس الجـــداد لقتـــــل قلبـــــك بـــــالهموم
لكـــــنهم عبثـــــا أرادوا لـــــن تواريـــــك النجـــــوم
فتجلـــدي ودعـــي الكآبـــة والتأفـــــــل والوجـــــوم»[2]

وينظر أحمد العنيزي -من خلال منظار الشاعر علي الرقيعي- إلى دنيا المرأة حيث «يعود الشاعر مرة أخرى إلى اجترار ذكرياته الماضية في دنيا المرأة، والتي تعكس تجارب حبه في بداية حياته التي لم يعرف فيها المرأة إلا من خلال علاقات عابرة تركت في نفسه آثارًا متباينة، وزرعت في أعماقه رواسب مختلفة ظلت تطفو وترسب ويستمد منها ألوانا من المشاعر والأحاسيس، هي التي انعكست في شعره وطبعته بطابع الاجترار فترة تمثلت في قصائده التي يجترها ويحلم فيها بالحبيب دائما... ومن هذه القصائد التي تحيا فيها مع الشاعر وذكرياته في عالم الحب (إلى نجوى) التي يخاطب فيها نجواه ويبثها كوامن نفسه، ويعدها بأن قلبه سيحافظ على حبها رغم القيود والسدود والحجب:

يمينا بحسنـــك بالذكريـــات وبـالغنج، باللفتـــــة الآســـرة
وبالسحر في وجهك المستنيـــر باللطـــف، بالفتنـــة النـــادرة

(1) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 30، 31.

(2) تصدير لديوان الحنين الظامئ؛ خليفة التليسي. ص: 10، 11.

سأتلوك رجع نشيد الشباب وطيفك لن يبرح الذاكرة
برغم القيود، برغم السدود ورغم أسى الحجب الحائرة»[1]

ومما يدل على اهتمام الشاعر علي الرقيعي بقضية المرأة في بلاده ومعايشته لما تعانيه من قيود وسدود، نقرأ له قصيدة (أغلال) التي تناولها محمد عفيفي بالدراسة والذي يرى من خلالها أن المرأة الليبية تحظى بمؤازرة الشعراء، والدعوة إلى تحريرها من هذه الأغلال، والعمل على إزالة الصعاب والعقبات من طريقها الذي ينبغي أن يضاء بنور العلم والمعرفة، كما يشير إلى أن هذه القصيدة كان الشاعر «يناجي فيها حبيبته، ويذكرها بأماسيه الماتعة، وما كان يلاقيه في سبيل الوصول إليها من عنت وقيود، ويسرد هذه القيود في ثورة جائحة، وأعتقدها ثورة منه على هذه الأغلال التى تقيد المرأة الليبية بوجه عام:

سحقا لأحكام الرتاج الجائرات وللقيود
للغل للكبت الشنيع وللسياج وللسدود
سحقا لهم نصبوا حواجز قاتمات من حديد
تضنى أمانينا الحزينة بالعنا القاسي المبيد»[2]

هذه الثورة على العادات والتقاليد تتكرر في العديد من قصائده، إلا أنه وفق في بعضها وأخفق في بعضها الآخر، حيث «تأتي قصيدة (مصير) وهي قصيدة طويلة النفس، سكبها الشاعر في إطار فني رائع يتساوق مع الأشكال الفنية الجديدة للشعر العربي المعاصر، ولكن المحتوى الداخلي كان ثورة تخريبية لم يوفق فيها الشاعر، فهو حين يسلط أضواءه الباهرة على حياة (نجواه) لا يواسي المنكوبة في وضعها القاتم، ولا يحتضن معها أملها العنيد في تطوير هذا الوضع، ولكنه يلعنها ويصب عليها نقمته، وما هكذا يرسم المصير (للحبيبة) المظلومة التي فرض عليها القيد، ولكن المصير يجب أن يصنع بالنضال وبالكفاح من أجل تحريرها من الأغلال وانعتاقها من جديد !! أما قصيدة (لعنة الغباء) التي نهج فيها الشاعر نهج أحد شعراء المهجر، فقد كانت قصيدة تطورية مناضلة، فيها تركيز وثورة بناء:

(1) (مولد شاعر)؛ مجلة النور. العدد 6 السنة الأولى نوفمبر 1957. ص: 9.

(2) الشعر والشعراء في ليبيا؛ ص: 111. وانظر كذلك الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث؛ ص: 103.

وأسكنوها
غيهب الجب، ولا تلقوا عليها
أي بال أو سؤال
رب همّ يبعث الثورة فيها»[1].

كما يسعى الشاعر علي صدقي عبد القادر إلى رفع القيود الاجتماعية عن المرأة التي ما فرضت عليها القيود إلا لكونها امرأة دون ذنب اقترفته، وهذا ما يصرح به نجم الدين الكيب الذي يرى أن «قصيدة (لأنني امرأة) من أقدم النماذج الشعرية التي كرست لموضوع المرأة، بل لعلها الأقدم على الإطلاق، وقد وقف الشاعر إلى جانب حق المرأة في الحرية الاجتماعية، مطالبا برفع القيود الاجتماعية الصارمة عن كاهلها والتي حولتها مجرد كمّ على هامش الحياة لا نصيب لها من الحقوق إلا ما يأمر به الرجل، فهي أسيرة البيت تحصد العمر والأيام الحالمة، ويتساءل الشاعر عما اقترفته (المرأة) من ذنوب لتواجه بمثل هذا التعنت من المجتمع فلا يجد لها من الذنوب إلا أنها امرأة:

ألأني كنت امرأة؟؟
لا ترى عيني عناقيد الضياء
وأزاهير النهار
تتدلى من شعاع الشمس، فوق الطلقاء»[2].

وتحاول الشاعرة عائشة المغربي أن تقود بنات جنسها إلى الإفلات من الرقيب الاجتماعي مستخدمة الرموز ما أمكنها ذلك، حيث يقول جميل حمادة عن قصيدة دهشة (الليلة الأولى): «تبدأ الشاعرة بالحكاية حيث يختلط الماضي بالحاضر بالمستقبل، وتبدأ أسئلة أشبه بالرموز لا نستطيع استكناه موقعها من الزمن الشعري:

كنا معـًا، نحمل همسا دافئا
لكن الشتاء ازداد قسوة هذه الليلة

(1) (الحنين الظامئ)؛ مفتاح الشريف. مجلة الضياء. العدد 2، السنة الأولى. أبريل 1957. ص: 32.

(2) علي صدقي عبدالقادر شاعر الشباب؛ ص: 133، 134.

فقل لي.. قل لي
الليل الملتبس حالة كآبة
وأنت وأنا
هل يجمعنا فجر جديد

وتختلط الأمنيات بخيالات الأمنية ووجوه المعشوق، وصور الشرطي الذي يباعد ما بينهما في محاولة للالتفاف على الرقيب الاجتماعي ككل شامل، محاولة بذلك ادماجه ككل في هذه المفردة (الشرطي) في آخر هذه الحكاية الشبيهة بهذيان الحمى، تقول الشاعرة:

أرجوك توقف كي نتلاشى معـًا»[1].

بينما تختار الشاعرة فوزية شلابي الانطلاق والتجرد عن عالم القيود والحدود بحثا عن الحرية المفقودة عند بنات جنسها حيث يرى أحد النقاد أن «مستوى الانكفاء إلى الداخل وفيه تلجأ الشاعرة -ربما عن قصد- إلى حزم متاع السفر وحدها، وتمضي في مركبة خاصة تحلق بها في فضاء من الحرية المشتهاة والقيد اللذيذ، أولها في:

- من يأتي نيرودا، يأتي الشعب، بمبضع وعاشقين اثنين.
- في الشارع المجاور، يهرول ماء مقتضب، وشجرة مشماش، خلفه في الصباح الاعتيادي، لم تغمر ذاكرة أمي.
- القصيدة العنوان (كنت فوضويا وشديد الوقاحة).

وثانيها في:

- قلبك خشن، لا تلامسني هكذا، لا تخدش زجاج قلبي.
- وهذه اشتهاءات ولدي لكائنات على الطليقة.
- برهة ثم يشرب نخبه الأخير ويرتمي في شهقة، أمه تزغرد في الزقاق العتيق»[2].

كما أن هذه الدعوة إلى التحرر والتخلص من القيود نجدها عند ناقد آخر إذ يرى أن هذه القيود الاجتماعية تمنع المرء التحدث مع الحبيبته والخطيبة التي فرضوا عليها الحجاب، فما

(1) (أسئلة القصيدة)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 75 يناير 1994. ص: 45.

(2) (وحدها تحزم حقائب السفر)؛ عمر عابدين. مجلة لا العدد 11 / 1991. ص: 48، 49.

بالك بأكثر من ذلك، حيث يرمز عادة إلى القيود الاجتماعية بالسجن، وهذه محاولة من الشاعر مجاهد البوسيفي للتمرد وتحطيم القيود، في الوقت الذي «يحاول أن يعلن العشق لحبيبته داخلا بمفاتيح لغة لصية، إنه يعلن بلا غضاضة أنه لص(شريف) لا يسرق إلا لغة الحب ليكـتب لها رسائل حب على ورق وردي:

وأسرق اللغة
لأكتب إليك رسائل
رسائل حب على ورق وردي
مثل كلمات العصافير التي تطلقينها
نحوي
في اجتماع اللصوص الكبير هذا
أفخر بأنني لص لا يسرق إلا لغة الحب.

إن مجاهد البوسيفي شاعر حزن شفيف لا يبديه إلا من خلال بعض نصوصه القليلة، وهو نادرا ما يشعل قناديل الفرح حتى في لحظة الفرح هذه، حتى وهو يخاطب معشوقته، فهو يخاطبها من داخل السجن... ومع كل ذلك فإنه سوف يعاود كسر هذه القيود»[1].

كما أثار الصيد أبو ديب قضية الحجاب والسفور من منظور اجتماعي، في شعر أحمد قنابة، الذي كان موقفه من سفور المرأة في عصره واختلاطها بالرجل واضحا في أشعاره، فعندما يتوقف عند أبيات قنابة التي يقول فيها:

عجبا نؤخر من ألم بعصره ونقدم الحدث الذي جهل الأنام
عجبا نحض على السفور فتاتنا ونقر مهزلة الفتاة مع الغلام
عجبا ندوس تراثنا وشعارنا ونظل نسأل ما الحلال وما الحرام

يذكر أن هذه الأبيات تتضمن موقفا واضحا وغيرة إسلامية «تتجلى في هذه الأبيات الثلاثة التي يتعجب فيها الشاعر من المتناقضات الغريبة لهذا الزمن الذي دفع بالعالِم المدرك بأمور عصره، والمزود بالتجارب والخبرات إلى المؤخرة، وقدم عليه الذي لا يملك أية خبرة

(1) (أسئلة القصيدة)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 75 يناير 1994. ص:36، 37.

أو تجربة، ونطالب بسفور المرأة والاختلاط بين الجنسين، ونترك مبادئنا ومثلنا وقيمنا وتعاليم ديننا الإسلامي، ثم نقضي الوقت في الجدل والنقاش والتأول: ما الحلال؟ وما الحرام؟»[1].

بينما ينظر مفتاح الشريف إلى هذه القضية على أساس أنها قضية اجتماعية يجب التمرد والقضاء عليها، لأنها تشكل رواسب الماضي بكل عاداته وتقاليده، ولا يرضى الاستسلام والخنوع، فحين يذكر الشاعر علي الرقيعي الحجاب، ويعلن استسلامه له في قصيدته (وعد ورسالة) بقوله:

فهذا جناه
أبي برضاه
بحكم التقاليد
يا للغباء

يتعجب الناقد من موقفه هذا، إذ إنه «لا يثور عليه ولا يتمرد ضده ولكنه يشكوه فحسب، ويخنع له كأنه قدر مفروض، وليس ظاهرة اجتماعية يمكن إزالتها والقضاء عليها»[2].

وحتى عندما يحاول الشاعر أن يثور في قصيدته (أغلال) بقوله:

لن تواريك الغيوم
لا تقنطي فغدا سنصدم ذلك الأسر اللعين

يرى الناقد برغم شعوره بأن كلمات القصيدة ممتلئة بكثير من قيم الحياة، وبرغم ما فيها من إصرار حزين ومضمون هادف إلا أن وعي الشاعر «للقضية كان وعيا وجدانيا قد نحته من موقف عاطفي خاص، ولم يكن وعيا اجتماعيا للقضية فيتعمقها من آفاقها الكثيرة»[3].

(1) أحمد أحمد قنابة (دراسة وديوان)؛ جمع وتحقيق: الصيد محمد أبو ديب، الطبعة الأولى أكتوبر 1968، مطابع دار الكتاب اللبناني، رأس النبع - بيروت. ص: 47.

(2) (الحنين الظامئ)؛ مفتاح الشريف. مجلة الضياء. العدد 1، السنة الأولى. مارس 1957. ص:26.

(3) المرجع نفسه؛ ص: 39.

2.1.5. مشكلة الفقر

من القضايا الاجتماعية التي حظيت باهتمام الشعراء والنقاد على السواء: مشكلة الفقر التي تناولها العديد من الشعراء الليبيين، ومن هؤلاء الشعراء خالد زغبية الذي تناول هذه القضية في قصيدته الرمزية أوراق الخريف التي يقول فيها:

وهناك في الركن الدجى
في الكوخ يقبع في ظلام
شيخ مسن
غضنته يد الزمن
عبر المآسي الداميات
وهناك.. يقبع في ظلام
في الركن.. في الركن الدجى
متقلبا فوق الحصير
يتفاعل الألم المرير
في جوفه..
ويد الفناء
جالت بأنحاء الجسد...

حيث «جسم لنا في إطار من الشعر الجديد صورة حية نابضة، مفعمة بالبؤس والشقاء المعربد في جسم شيخ مسن.. يمثل نموذجا صريحا من فقرائنا الكادحين الطيبين،يقضون العمر كله يكدحون ويناضلون من أجل الرغيف، والقصيدة كلها كانت تعبيرا عميقا عن قطاع كبير من مجتمعنا»[1].

كما يتناول هذه القضية الشاعر محمد الفقيه صالح بقوله:

شبّ قلب الليالي عن الحزن
شبّ عن الموت
منذ اهتدت قبضة الفقر للأسلحة.

(1) (خطوط لدراسة الشعر الليبي)؛ مفتاح الشريف. مجلة الضياء، العدد 6 السنة الأولى، سبتمبر 1957. ص: 29، 30.

فيعلق جميل حمادة على هذا المقطع بقوله: «لقد شبه الشاعر الفقر بالإنسان الذي سوف يقاتل الجشع والترف والبذخ والبخل، وكأنه ترجم بذلك قولة علي كرم الله وجهه حين قال: (لو كان الفقر رجلا لقتلته)، إن في هذا المقطع من الجمالية والتحريض ما يكاد يغني عن القصيدة كلها، فمنذ اهتدت قبضة الفقراء إلى الأسلحة لم تعد الليالي تركن إلى الحزن، وقد شبّت عن الموت فما عادت تبالي به»[1].

ويتناول نجم الدين الكيب هذه القضية في قصيدة (مجرم ولكن) للشاعر علي صدقي عبد القادر حيث يرى فيها «جانبا من الظلم الاجتماعي المتمثل في الفقر والبطالة، وهما معوقان للإنسان في البناء الاجتماعي، حيث يتحول الشرفاء إلى مواطن الجريمة مدفوعين إلى سد النقص في إشباع حاجاتهم الضرورية المتعلقة بلقمة العيش، والإدانة التي تصدر بحق أولئك الفقراء والمتبطلين هي إدانة للمجتمع أيضا الذي يبقي أولئك المحتاجين على هامش الحياة وبعيدا عن حقهم في العيش الكريـم والقصيدة بعد ذلك تمثل ومضة إنسانية زاد من واقعيتها ما أسكبه عليها شاعرنا من أجواء مخضبة بتجاربه في ساحة القضاء، وأقتطف هنا أجزاء منها مع علمي بأن ذلك سوف يؤثر على سياقها العام:

الحارس المنفوخ يصرخ محكمة
في الحاضرين
وبصوته الخشن الأجش
يقف الجميع كما يشاء الحارس الجلف الغليظ
وتردد الجدران صرخة محكمة...»[2].

فإذا تتبعنا هذه القضية في شعر علي الرقيعي طالعتنا قصيدته التي بعنوان (في بلادي) حيث يعقب محمد عفيفي على هذه القصيدة بأنها «قصيدة حافلة ببيان مواطن الداء والعلل، ولكن الشاعر لم يبين لنا فيها طريقة العلاج وتشخيص الدواء»[3].

---

(1) (أسئلة القصيدة)؛ مجلة الفصول الأربعة. العدد 75 / يناير 1994. ص: 50.

(2) علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب؛ ص: 171.

(3) الشعر والشعراء في ليبيا؛ ص: 112. وانظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، ص: 88.

على عكس قصيدته (من أجل حقي) التي أهداها الشاعر لكل فلاح في بلده يحرث الأرض ولا ينال إلا التعب بقوله:

باسم العدالة سوف أحطم ما بنيت
باسم الكرامة والحقوق الضائعة
بالكبرياء تثورفي جرحي الخصيب
باسم الدموع وضيعة العرق الصبيب
باسم المتاعب والمواجع والأسى...

حيث يتناول هذه القضية من جانب آخر وبطريقة مغايرة، وهو جانب الرفض لهذا الواقع، ومحاولة تغييره مشيرًا لذلك عبد الوهاب الحراري من خلال تناوله لهذه القصيدة إذ «تتجلى روعة التعبير وصدق المشاعر في ارتباط شاعرنا الليبي علي الرقيعي بوطنه، الذي هو مرفأ أحلامه وحياته وغطاء لحمه، فالكرامة الليبية والأصالة العربية ترفض أن تعيش في استعباد، تتنفس الضيم وترهقها العبودية، فهي ترفض -مهما كانت المغريات- أن تخون سنابل القمح في هذه الأرض»[1].

وعن القصيدة نفسها يقول كامل المقهور: «وكلما ازداد الرقيعي اتصالا بشعبه.. وكلما ازداد وعيا بالتناقضات التي تتصارع في مجتمعه، وكلما ازداد عمقا في ثقافته واتصالا بالحركات الفكرية في الشرق وبخاصة التي تمس الشعر العربي كلما ابتدأ شعره يتفاعل مع واقعه ويعكس هذا الواقع ويحاول تغييره، فهو يكتب عن فلاح يحرث أرضنا الطيبة، ويصف حياته ورغبته في الحياة، فيقول في قصيدته (من أجل حقي):

وصرخت في وجه الدخيل المحتكر
هل ينكر السنيور والرب الدخيل
أني غرست له البنفسج والورود...»[2].

وفي الإطار نفسه يتناول محمد وريث هذه القضية عند الشاعر أحمد رفيق ولكن بطريقة

(1) قراءات في الشعر الثوري؛ ص:26.

(2) مقدمة ديوان الحنين الظامئ؛ ص: 37، 38.

أكثر عملية، ففي «منتصف عام 1951 ينشر رفيق قصيدة بائية خفيفة الوزن، راقصة الكلمات، ذكية التلميح والتوضيح عن مشكلة كانت تعد في ذلك الوقت من مشاكل المجتمع الليبي الفقير الخارج من الحرب، مشكلة الحطب المستعمل في الوقود، وكأية بضاعة رائجة وخاضعة لقلة العرض وكثرة الطلب، فإن للمستغلين دورًا لابد أن يلعبوه ويؤدوه بمهارة، يقول:

تبت يدا أبي لهب ... ومالـه وما كسب
وخاب من أراد للفحم ... احتكارا والحطب

.. وبما أن الناس قد اكتشفوا حيل المحتكرين وألاعيبهم فقد ساعدوا على حل المشكلة، ولهذا المعنى يخصص رفيق هذه الأبيات التي يختم بها القصيدة:

الاحتكار حيّة ... تسعى إلينا بالعطب
تنفث من سمومها ... في جسمنا ما لا يطب
ها قد قطعنا ذنبها ... كاد بشرّ يقترب
عقبى لقطع رأسها ... المضر من بعد الذنب»[1]

3.1.5. العلم والأخلاق

ومن القضايا الاجتماعية الهامة قضية العلم والأخلاق التي لم تحظ باهتمام كبير من الشعراء ومن النقاد على حدّ سواء رغم أهمية الدور الذي تقوم به هذه القضية، فمن الذين درسوا هذه القضية وأولوها اهتمامهم وعنايتهم مصطفي ناصف الذي يرى أن كثيرا من الشعراء «بكوا ما يسمى بالأخلاق في العالم العربي المعاصر لهم، وما يزال هذا البكاء نفسه محتاجا إلى التحليل، وهناك شعر لرفيق يقول فيه:

والعلم والأخلاق في شعب بلا ... عمل زخارف باطل زهاق
انظر إلى الأشجار قيمتها بلا ... ثمر تقلّ بكثرة الأوراق
عصر التمدن والتجدد عصرنا ... ذهبت عصور السيف والمزراق

(1) (أحمد رفيق المهدوي: هوامش على حياته وشعره)؛ مهرجان رفيق الأدبي. ص: 147، 148.

وواضح ما في هذا الشعر ما ينعاه رفيق من فقدان الفاعلية، وواضح كذلك -إلى حدّ ما- أن فكرة الأخلاق لا يمكن النهوض بها عن طريق إرادة القوة، فالأخلاق هنا ترادف العظات، وأن مفهومها يهبط بفقدان الفاعلية كما يشير رفيق هنا، ويتأثر هذا المفهوم بالتعرف العلمي وتقديره والأخذ بأسبابه بعد استبعاد ما لا حاجة إليه من الغيبيات التي ظل المسلم دهرا طويلا ينظر إليها على أنها كنوز»[1].

هذه القضية عند أحمد رفيق نابعة من «إيمانه بقيمة العمل واعتباره المقياس الحقيقي الذي يمكن أن تقاس به القيمة الحقيقية للعلم والأخلاق، سواء أكان ذلك بالنسبة للفرد وبالنسبة للجماعة، فالأخلاق والعلم في نظره ليست مجرد كلمات تردد، ومعارف تحفظ، ولكنها عمل صالح، وسلوك عملي نافع في الحياة، فاستمع إليه يؤكد هذا المعنى بالنسبة للأخلاق على لسان (غيث الصغير) حين يقول:

هكـــذا علمنـــا آبـــاؤنا ... طيب الأخـلاق فعـلا لا كلامـا
إن أخـــلاق الفتـــى إن لم تكـــن ... عن غريز الطبع لم تبق دواما»[2]

إن معاناة رفيق الصادقة ووعيه الكامل لخطورة هذه القضية جعله يذكرها في العديد من قصائده «وكان رفيق يدرك أن الشباب لن يحقق المهمة الملقاة على عاتقه، ولا الآمال التي تعلقها عليه الأمة، إلا إذا كان متسلحا بسلاح العلم باعتباره الركيزة التي يبنى عليها صرح الوطن؛ من هذه القصائد قصيدته (حياة العبقري) التي ألقاها في الحفل الأدبي الذي أقامته أسرة شوقي في معهد المعلمين ببنغازي في 3 مارس 1949؛ التي جاء فيها:

فيا نشئ الحمـى أنـت المرجـى ... غـــدا للفـــوز بالأمـــل الرغيـــب
عـلى تحـصيلكم للعلـم نبنـي ... صروح المجـــد للـــوطن الحبيـــب
فكونوا مثل ما نرجـوه فيكـــم ... مصابيحا تضيء دجى الخطوب»[3]

ولكن هذه العملية الشاقة تحتاج إلى تظافر الجهود من الشباب ومن المجتمع، بتوفير

(1) (الثقافة العربية الحديثة ولغة رفيق)؛ مهرجان رفيق الأدبي. ص: 215، 216.
(2) (المعاني التربوية في شعر رفيق)؛ عمر التومي الشيباني. مهرجان رفيق الأدبي. ص: 96، 97.
(3) المرجع نفسه؛ ص: 93، 94.

سبل التعلم في طريق حلّ هذه القضية، حيث «أدرك رفيق ما كان يعانيه المعلم من صعاب وشقاء وعناء في حياته وعمله، وقد عبر عن إدراكه هذا بكل صراحة في قصيدته التي ألقاها في حق المعلم حين قال:

بحرفتــه أشــقى العبــاد المعلــم ... يعــيش فيقــضي عمــره يتــألم
يقاسي عناء الـدرس طـول نهـاره ... ويــسهر فــيما في غــد ســيعلم
يعاشر أحداثا فلا هم ذوو حجى ... ولا هم مجانين فيبعــد عنهــم

ولكن بالرغم من أهمية المعلم وخطورة الدور الذي يقوم به، وصعوبة عمله، فإنه لا يلقى – في نظر رفيق– التكريم اللائق به، ولا التقدير الكافي، ولا الجزاء الوافي بجهوده، يقول في نفس قصيدته سالفة الذكر(المعلم):

فــما قــدروا حــقّ المعلــم قــدره ... ومــن حقّــه كالوالــدين يعظــم
ولكن هضم الحق في النـاس عـادة ... يــصاب بهــا الحرالأديــب ويهــضم
لقد حرم النعمى وأشقــاه عقلــه ... وأزرى به من في الشقاوة ينعم»[1]

هذه هي أبرز القضايا الاجتماعية وأهمها التي تناولها النقاد من خلال دراستهم لأشعار الشعراء الليبيين حيث تحظى هذه القضايا بالجانب الأكبر والأهم في محاولة للإسهام في حلّ هذه المشاكل الاجتماعية.

2.5. القضايا الوطنية:

وفي هذا المبحث أتناول الدراسات النقدية التي تتعلق بقضايا الوطن الصغير ليبيا وما عاناه من ويلات وآلام من جانب المستعمرين والعملاء، كل ذلك جعل الشعراء يحسون ما يعانيه الشعب الليبي، فحاولوا كشف الظلم وألاعيب المستعمرين والخونة في أشعارهم، ومن ثَـمَّ الدعوة إلى النضال والتحرير لهذا الوطن الحبيب الذي ملك عليهم زمام أمرهم، وعندما ضاقوا ذرعا بالمستعمر وأساليبه تاقوا إلى غد أفضل ومشرق يدعو إلى الحياة الحرة الكريمة من خلال التبشير بالثورة.

(1) (المعاني التربوية في شعر رفيق)؛ مهرجان رفيق الأدبي؛ ص: 100.

1.2.5. كشف القوى الظالمة ومقاومتها:

إن إحساس الرعيل الأول من الشعراء والأدباء لجرائم المستعمر وأفاعيله، وما يحيق بالأمة العربية من نكبات وويلات، جعلهم يعلنون موقف الرفض لهذا المستعمر الغاشم ومحاولة تشخيص جرائمه «وقد بلغ العسف في ليبيا مبلغا لم يبلغه في شعوب الأمة العربية وقد صدق رفيق يوم قال:

أتينا بما لم يـأت شعب يفوقنا نفوسا.....»[1]

وتتوالى ملاحظات النقاد والدارسين على شعر رفيق في مجال القضايا الوطنية فهو كما وصف يعد بحق شاعر الوطن، وشاعر الوطنية الليبية فعندما «شاهد أيدي الأجنبي المستعمر تبني القواعد والمطارات العسكرية – وإن لم توقع المعاهدة الليبية البريطانية بعد – نبه إلى الخطر الداهم، وأنه يرى أمورا تقلقه:

فإني أرى أشـياء لـو قلـت أنهـا تريـب لقـال النـاس إنـك محنـق
لنـا أم علينـا مـا يـشاد بأرضـنا ففي أرضنا يبنـى مطـار وخنـدق
فلا تجعلونا دودة القز في البنـا ففيما بنته دودة القز تخنـق»[2]

كما يصف الرجعيين والخونة ويكشف ألاعيبهم وحيلهم في الوصول إلى المناصب وتقلد الألقاب، كما في قوله واصفا وطنه بين براثن غاصب أجنبي، وطمع مواطن متعلق بالألقاب والسلطان:

يسومها الخسف أعداء يناصرهم مـن المحبـين للألقـاب أعـوان
ألقـاب مملكـة في عهـد مهزلـة كـما تقـام عـلى الأصـنام تيجـان
جادوا بغير حساب حينما علمـوا أن الوظائف للوجدان أثمـان

حيث يشير أحد النقاد لهذه الأبيات بأنها قيلت في فترة حرجة إذ «في هذه الفترة –فترة حكم الإدارة البريطانية– لا يترك الشاعر أمرا صغيرا أو كبيرا إلا تعرض له سواء كان في صورة

(1) (رفيق في ضوء المذاهب النقدية)؛ حلمي مرزوق. مهرجان رفيق الأدبي. ص:249. وانظر النقد والدراسة الأدبية؛ ص: 183.

(2) (نظرات في شعر رفيق السياسي)؛ محمد دغيم. مهرجان رفيق الأدبي. ص: 120.

مشروعات استعمارية متمثلة في الوصاية أو التقسيم أو في صورة إدارة بريطانية مهملة لأحوال البلاد الداخلية، ويتصدى رفيق لهذه الإدارة وسياستها ويندد بها في كل مناسبة»[1].

بينما يتبنى الطيب الشريف الاتجاه التقليدي في نقده لأبيات من قصيدة (غيث الصغير) للشاعر أحمد رفيق المهدوي، التي تعبر عن حسّه الوطني.

إذ «يصور الشاعر أحمد المهدوي شجاعة المجاهدين الليبيين وإقدامهم بما يبعث على الاستغراب في المشهد التالي من قصيدته (غيث الصغير):

ورأى الأبطـــال أن المـــوت لا ... شـــك فيـــه، فتلقـــوه زؤامـــا
قيـــدوا أرجلهـــم صـــبرا، فـــما ... حلّهـــا غـــير رصـــاص يترامـــى
حلّهـــا مـــن ربقـــة العـــار، ومـــن ... عيـــشة الـــذل فقـــد مـــاتوا كرامـــا
هـــوّن الخطـــب علينـــا مـــوتهم ... في دفـــاع كـــان للحـــق انتقامـــا

والأبيات صورة فنية جميلة تستوقفك بأسلوبها القصصي الجميل، ومعانيها الواقعية النابضة بالحياة، وتعبيراتها السهلة الممتعة في سياقها المحكم دون تعقيد»[2].

كما يشير محمد طه الحاجري إلى أعوان الاستعمار الذين يمهدون له الطريق، ويدافعون عنه متسترين باسم الإسلام ويأتمرون بأوامره التي يلبسونها لباس الدين[3] بما في ذلك أعضاء الحزب الدستوري الذين هاجمهم أحمد رفيق وكشف ألاعيبهم في مقطوعة صغيرة سهلة العبارة، قريبة المعنى حتى «تجري على كل لسان ويهتف بها كل شخص ليكون ذلك أتم لما أراد بها، وهو تشويه صورة ذلك الحزب العميل، وإظهار رجاله الذين ينتسبون إليه في صورة بشعة منكرة، وسواء أراد ذلك رفيق أو هي طبيعة شاعريته وخاصية شعره، فلا نكاد نشك في أنه بلغ بهذه القطعة الغاية المرجوة»[4].

---

(1) (نظرات في شعر رفيق السياسي)؛ مهرجان رفيق الأدبي. ص: 117.

(2) (دراسة في أدبيات جهاد الليبيين)؛ مجلة الوثائق والمخطوطات العدد 5 السنة الخامسة 1990 ص: 263، 265.

(3) انظر: (مهرجان أحمد رفيق المهدوي في الذكرى التسعين لميلاده)؛ مجلة الإذاعة العدد 3 السنة الأولى ديسمبر 1988. ص:22.

(4) (رفيق في مراحل حياته الأولى)؛ طه الحاجري. مهرجان رفيق الأدبي. ص: 43.

كما أضاف محمد أحمد وريث أن الشاعر على الرغم من صلة قرابته بعميد بلدية بنغازي، الذي أمّن له وظيفة بعد عودته من مصر إلا أن ذلك لم يشفع له، فهو «لم يتأخر في المجاهرة بنقد ذلك العميد ومهاجمته عندما انضم إلى ما كان يسمى بـ (الحزب الدستوري العربي) الذي أسسه المستعمرون الإيطاليون مدّعين أنهم يريدون به تخليص الليبيين من التبعية للأتراك، وقد شدّد رفيق من حملته على ذلك الحزب الدعي فقال:

الحـزب الدسـتوري العـربي ينبـــوع الباطـــل والكـــذب
قـــد لفّـــق أحقـــر شرذمـــة مـــا ينقـــصهم غـــير الـــذنَب
قـــالوا إنـــا قـــوم جئنـــا لنـــدافع عـــن مجـــد العـــرب
كـذب كـذب كـذب كـذب مُتَـــأتٍ مـــن ســـوء الأدب
مـــا أنـــتم للطليـــان ســـوى بقـــر للخدمـــة لا الحلـــب
وكـــلاب لـــيس لهـــا أمـــل إلا فـــي الراتـب والـــرتـــب»[1]

كذلك التفت فوزي البشتي إلى الجانب الوطني في شعر إبراهيم الأسطى عمر في رثاء شيخه، الذي مدّ له يد العون والمساعدة، وزوده بالنصح والإرشاد وخلاصة تجاربه في الحياة، وحبب إليه العلم والمعرفة، حتى يرفع من شأن وطنه الذي تحاك ضده المؤامرات والدسائس من الاستعمار وأعوانه، من ذلك مرثيته لشيخه (عبد الكريم عزوز) التي «تشير إلى صمود الشعب ووقوفه أمام كل مؤامرات الاستعمار وأذنابه من الخونة والعملاء:

لا تخف يا شيخ واهنـأ بـالخلود في أمـــان الله في نعـــم المجـــير
إننـــا قـــوم رســـفنا في القيـــود زمنـــا ثـــم انثنينـــا كالنـــسور
حلقت في الجو تـسعى للوجـود حـــرّة تحيـــا وإلا فـــالقبور
كلنا في الحق ذو بأس شديـــد لا يرى في موته الأمـر العسيـــر
قد سمعنا منك نصحا ورضينا سنلبي للجهاد إن دعينا»[2]

كما يطلب الشاعر إبراهيم الأسطى من شاعر الوطن أحمد رفيق أن ينشد الشعر الذي

(1) (لماذا آثر المهدوي أن يبقى في تركيا)؛ مجلة تراث الشعب. العدد 11/ 1983. ص: 21.
(2) (الشاعر والرحلة)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 10 يوليو 1980. ص: 82.

يزيد حماس الشباب في الدفاع عن أوطانهم، والتصدي للعدوان كي يبقى هذا الشعر الذي يصور ويمجد بطولات الشعب الليبي ونضاله وتتناقله الأجيال لتحذو حذوه في الكفاح من أجل توحيد الوطن وتحريره، «ويتوجه الشاعر بنداءاته الوطنية إلى شيخ شعراء ليبيا قائلا إن الشعر نضال، وعندما يخلص الشاعر لقضايا الوطن فإن شعره يعرف طريق الخلود، فالتهديد لا يوقف الشاعر الوطني عن النضال بالشعر:

غـرّد فـشأن البلبـل التغريـد ... لا يُـسْكِتَنَّ الـصادحَ التهديـدُ
واترك قـصيدا في الحيـاة مـدويا ... فكأنـه (الـذرات والطوربيـد)
يبقـى عـلى الأيـام مـا سـجلتُه ... مـن كـل قافيـة لهـا ترديـد
ويزول وهم الـواهمين ويـنجلي ... ليـل دقائقـه البغيـضة سـود
رجع على الألحان نغمة مـصلح ... واتـرك رؤوس المفـسدين تميـد»[1]

ويبدو أن الناقد لا تتغير عباراته عند حديثه عن أي قصيدة وطنية إذ نراه يتحدث عن قصيدة (من أجل الشعوب) للشاعر خالد زغبية من ديوانه (أغنية الميلاد) المهداة إلى شيخ الشهداء عمر المختار بقوله: «يتوجه الشاعر خالد زغبية إلى الشعب الليبي مناديا بالنضال وللشباب بالبذل من أجل الشعوب العربية:

في كل شبر من ثرى الوطن الحبيب
تزري بأعمال القراصنة الطغاة
وتظل توحي للشباب
أمل البلاد
رمز التقدم والنهوض
وطلائع البعث الجديد
توحي لهم بالبذل من أجل الشعوب
والنصر في يوم قريب»[2].

(1) في الأدب الليبي الحديث؛ ص: 18.
(2) في الأدب الليبي الحديث؛ ص: 8.

فمع اختلاف القصيدتين في إيحائهما وتصويرهما ولغتهما برغم توحّد موضوعهما جعل عبارته لا تتجاوز الحث على النضال والدعوة للحرية، ويطلب من الشعراء التغني بالنضال، إذ إن الشعر نضال، وماذا غير هذا؟ لا شيء. إذن فلنحلل القصيدة تحليلا فنيا حتى نسبر غورها ونطلع على خفاياها.

ويتناول محمد عفيفي شعر أحمد الفقيه حسن الوطني ويرى «في هذا الشعر الوطني عواطف فياضة، تلهب المشاعر وترقص الوجدان، وتدفع إلى التوثب، وهي ليست بالعواطف المريضة لأنها تنبعث من قلوب اكتوت بأتون الجهاد المرير أكثر من ثلاثين عاما، لا يخبو أوارها ولا تستنيم لخنوع، ولا تتواكل، قال الشاعر أحمد الفقيه حسن موجها الحديث إلى طرابلس:

ثلاثـــون عامـــا تحملتهـــا ... بـــما ســـاء منهـــا ومـــا أوقـــرا
أصابتك فيها خطوب غـــدت ... دروسا لشعبك دون الورى»[1]

والواقع أن هناك إحساسا معمقا بالأسى عبرت عنه كلمات النص: تحملتها، ساء، أوقرا، أصابتك، خطوب، وهي كلمات ذات إيحاء للتعبير عن القلق والظلم خلال العقود الثلاثة التي عبر عنها الشاعر. وقد شمل هذا الويل كل الشعب، وهذه صورة بينت حجم الظلم الذي لحق بالشعب الليبي حتى غدا ذلك دروسا -وليس درسا- لا تنساها ذاكرة هذا الشعب.

وقد يكون الطيب الشريف محقا فيما ذهب إليه عند تناوله لقصيدة أحمد الفقيه حسن التي ذكرها بمناسبة مصرع موسوليني، وتغنى فيها بالمواقف البطولية التي قابل بها الشعب الليبي وحشية إيطاليا الغازية وجبروتها، وكيف تصدى لها ولأساطيلها، والتي يقول فيها مخاطبا موسوليني:

كانت طرابلس لـشعبك زاجـرا ... عن أن يلاقـي في الحـروب عنـاء
فيهـا رجـال برهنـوا لـك أنهـم ... كـانوا لهـا يـوم القتـال فنـاء
لا يرتضون الذل ما عاشوا، وما ... خـضعوا لطاغيـة لـه اسـتخذاء
قوم من العرب الكـرام تعـودوا ... خوض الوغى والطعنة الـنجلاء
كانت وقائعهم لدى أعدائهـم ... مشهـــورة وفعالهـم بيضـــاء

(1) الشعر والشعراء في ليبيا؛ ص: 117.

حيث يعلق الناقد على هذه الأبيات بأنها «قد لا تستوقفنا من الناحية الفنية لخلوها من حرارة العاطفة، والصور المعبرة عن مرارة الحرب ومآسيها، وإقدام الليبيين وشجاعتهم التي هونت من مرارة تلك المآسي، غير أنها بأسلوبها التقريري الخطابي سجلت مواقف من إباء هذا الشعب وإقدامه، فهو لا يرتضي الذل ولا يهاب الموت وقد تعود على خوض المعارك بشجاعة أثارت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء»[1].

كما التفت أمين مازن إلى فتور العاطفة، وسطحية الصورة، وخفوت المشاعر، عند الشاعر علي صدقي عبد القادر، ويرى أن كل ما هنالك هو تسجيل لموقف وطني من تصديه لفكرة الأحلاف الأجنبية «وكان في مقدمة الأصوات التي تصدت لحلف بغداد، ولكننا عندما نقف اليوم أمام شعره في تلك المرحلة، وعن ذلك الحلف بالذات، ماذا عسانا قد نجد؟ لا شك أننا سنجد الموقف الوطني، أما الشعر فلا مكان له على الإطلاق، إنه نفس الموقف الذي نقف عليه حول بعض القضايا الأخرى، حيث يجسد علي صدقي عبد القادر الروح الوطنية، ولكن أداته الشعرية تعجز عن ذلك كل العجز:

عد أيا غاصبا من حيث أتيت
واجل عنا إنك الآن انتهيت
غير مجد سفح دمع إن بكيت
طالما في أرض أجدادي بغيت»[2].

بل يؤكد هذا المعنى سليمان كشلاف -بصورة أبلغ- إذ يرى أن «التعبير في القصائد الوطنية عند علي صدقي عبد القادر اتخذ الصبغة التسجيلية أكثر منها دفقا عاطفيا وإحساسا، فلم يحو تعبيره عمقا كقوة النضال، انظر إليه وهو يقول:

في ليالي الشرق كانت أمتي بالدم تصنع
قصة الشعب الذي مزقه شنق ومدفع
يوم قلنا لن يمر الغزو فاغتاظ ولعلع

(1) (دراسات في أدبيات جهاد الليبيين)؛ مجلة الوثائق والمخطوطات. العدد5 / 1990. ص: 266.

(2) (قراءات في الشعر المعاصر)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 34. 9/ 1986. ص: 59، 60.

هل يكفي لوصف جهاد شعب دام أكثر من ربع قرن مجرد القول أنه قال: لن يفلح الغزاة في استعمارنا، كان على الشاعر أن يبين مرحلة الفعل، مرحلة الدفاع عن الوطن، يصف ذلك كله وصفا حيا يلهب الإنسان ويهبه الحماس، لا مجرد كلمات رتيبة مقفاة»[1].

أليس وراء هذه الصورة بسالة وشجاعة ودماء من أجل الشعب عبرت عنها هذه الأبيات؟ كلها عناصر لبناء قصة كفاح شعب مزقته الحرب والظلم بشنق الشرفاء المناضلين.

هذا الموقف الوطني من نضال الشعب الليبي الذي بذل جراءه كل غال في سبيل مواصلة الكفاح والنضال ضد المستعمر البغيض، هو ما أشار إليه الصيد أبو ديب في دراسته لديوان أحمد قنابة، الذي يرى أن الوطنية الصادقة والحث على النضال والتضحية من أجل الوطن، ومن أجل الحرية، والمناداة بالوحدة من أبرز النغمات في شعر قنابة[2].

وبهذه المعاني عينها نادى مختار ابن يونس في دراسته لشعر ابن كردان[3].

وفي المقابل نجد تأجج العاطفة وروعة التعبير وصدق الإحساس وجمال التصوير عند الشاعر مصطفي العربي حيث يلحظ ذلك عبد الوهاب الحراري من خلال ما عبر به «الشاعر عن شرارة وقدسية الكلمة في قصيدته(عفوًا إن جفّ الدمع بعيني) التي رثى فيها الشاعر طفلة تدعى جيهان حملت معها إلى قبرها (30) رصاصة في جسدها:

عودي جيهان.. ولا تضعي قدميك الطاهرتين
على وسع الكرة الأرضية
عودي.. فالعالم وحش مفترس
والناس ذئاب همجية..

هكذا صور الشاعر مأساة هذه الطفلة التي تمثل جزءا من نضال أبناء هذه الأرض وتضحيتهم الذين قدموا ذاتهم فداء للوطن، صور هذه المأساة وفي داخله عاشت غربة تبعث على الذل والمهانة والانتكاسة والحزن لهذه الحادثة الأليمة»[4].

---

(1) كتابات ليبية؛ ص: 57، 58.

(2) انظر: أحمد أحمد قنابة: دراسة وديوان. ص: 43.

(3) انظر:(صدى الجهاد في شعرابن كردان)؛ مجلة الشهيد العدد المزدوج 7، 8 / 1986، 1987.ص: 373.

(4) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 124.

بينما لا نجد تعليقا من الناقد على قصيدة (بئس المصير) للشاعر خالد زغبية سوى أن الشاعر «يشكو موجات الحزن وبحار الألم، ويبكي مأساة الحرية في وطنه، وهو يصف جرائم المستعمر والحكام وسلطات العهد الملكي المنهار:

نحن أبناء الأباة الكادحين
الألى بذلوا الدماء
ذودا عن الوطن المهين
وصيانة للعرض والشرف الطعين
نحن أبناء الألى خاضوا المعارك والحروب
وتجرعوا ويلات هاتيك الخطوب
فتناثرت أشلاؤهم تحت المشانق والسياط
وتساقطوا شهداء حق خالدين»[1].

كما يرى الناقد أن قصيدة (رؤيا) للشاعر محمد الشلطامي تحوي تجربة نفسية عميقة، تثير المشاعر والأحاسيس من خلال حديثه عن مأساة بلده التي يقول فيها:

بلدي جراحك والمساء
والريح تَعْول في قراك البيض، تعول والنجوم
فحما وعينا من أحب ركام طين
بالأمس كنت في الظلام

«فعبر هذه القصيدة ينقلنا الشاعر إلى حوار داخلي ملون بتجربته النفسية التي تثير في أعماقنا الدموع والتمزق وحياة الحنين التي يحملنا إليها الشاعر، حيث يحدثنا مباشرة بمأساة بلده وتعاسة شعبه وتحول نجوم بلاده إلى فحم وظلام أسود بفعل المحرقة التي زرعها أعداء الشمس والحرية، الذين يرسفون نور الحياة وجمالها بالأغلال والقيود الحديدية وببركان الموت»[2].

(1) المصدر السابق؛ ص: 81.

(2) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 99، 100.

ولكننا نجد من الشعراء من يخالف كل من سبقه ولحقه في دعوته إلى الجهاد والنضال، حيث عدّ استشهاد شيخ الشهداء عمر المختار نهاية الكفاح والنضال، كما فعل الشاعر رجب الماجري في قصيدته (بعث) التي مجد فيها ذكرى استشهاد البطل المناضل الشهيد عمر المختار حيث يعلق عليها مفتاح الشريف بأن الشاعر قد «استهلها بذلك القالب التقليدي، الذي صاغه في إطار من (خيامية) مغرقة حين يقول:

شعشعوها وأرقصوا الأقداحا ... إن عهد الكفاح ولى وراحَا
وانهبوا العمر إنه خلسات ... أزهقوها لهوا وغيدا وراحًا
قد بلغتم من الأماني مداها ... وتجلّت آلامكم أفراحا

هذه الأبيات رغم (خياميتها) الضبابية.. فإنها تحمل في تضاعيفها قيما ومبادئ منهارة، تعتبر انعكاسا أمينا للمفاهيم الخاطئة القديمة عن معنى النضال الواعي لحياة الشعوب، وحين يقول الشاعر إن عهد الكفاح قد (استشهد وتحقق ما كان) ولى وراح لمجرد أن عمر المختار (يصبو له قبل استشهاده) شفيع لقيمة الكفاح.. وهو إنما يدلل على ضحالة وعلى خطأ في الوقت نفسه، ينبئ عن أنه لم يتعمق تجربة الموت التي عاناها الشهيد العظيم، وإلا لما جاءت قصيدته في هذه التجريدية الصاخبة، ولكن الأخ الماجري معذور.. فهو لم يستطع أن يتخلص من هذه الكلاسيكية، ومن البناء التقليدي في شعر القدماء»[1].

لا أدري ماذا يقصد الناقد بالخيامية، هل هي نسبة للشاعر عمر الخيام في غموضه وشكه؟ أم هي الحجب التي تستر الحقيقة؟ وقد يكون المقصود غير هذا وذاك.

وعلى كل حال فإن التقليدية بادية في القصيدة، ولكن ما وصمها به من ضحالة وخطأ فذلك مالا أوافقه عليه، إذ قد يكون المراد بقوله (إن عهد الكفاح ولى وراحا) أن الكفاح الحق قد انتهى باستشهاد عمر المختار، إذ ليس هذا نكوصا أو تراجعا عن الجهاد، وإنما فيه استنهاض للهمم وحث للأجيال القادمة لتكمل ما بدأه شيخ الشهداء، وحتى يكون قدوة يحتذى به في بسالته وقوته ونضاله، أما غير هذا فمالا يقبله عقل ولا يتصور أن يصدر من شاعر له مواقف وطنية عديدة تمثلت في تمجيده لحركات الكفاح والنضال والإشادة بالأبطال والشهداء.

(1) (خطوط لدراسة الشعر الليبي)؛ مجلة الضياء العدد6 / سبتمبر 1957. ص: 29.

يؤكد ما ذهبت إليه أبوبكر الفقهي في رده على نقد مفتاح السيد الشريف بأن «الدراسة المجملة التي تقدم بها الأستاذ مفتاح السيد والتي حمل فيها على بعض الشعراء، وبخاصة الماجري قد منحت آفاقا كثيرة للنقد، ولست أدري هل كان الأخ مفتاح متعمدًا في هذا؟ أم أنه يريد فتح باب للمناقشة عريض، لقد أمسك بقصيدة (البعث) للأستاذ الماجري وألهبها بالسياط، وزعم أنها جوفاء، وأنها لا تمت إلى العنوان بصلة.

والواقع أن هذه القصيدة بالذات، تعد من فرائد نتاج هذا الشاعر اللبيب، ويكفي أن نعرف أنها نوع من الشعر الرمزي الرصين، الذي لا يقدر على صناعته إلا الراسخون في الأدب، وما استعمال كلمة (شعشعوها) مثلا إلا دليل على حصافة الذاكرة وحسن الأداء، ثم هو يعني ما يريد حين قال(إن عهد الكفاح ولى وراحا) إهابة بالنائمين الكسالى الذين لا يتحركون إلا بمثل هذه الأساليب المقذعة، وأروع ما أبدع في هذه القصيدة اتخاذه من عمر المختار رمزًا للكفاح والبطولة وسبيلا إلى النهوض والإقدام»[1].

في الوقت الذي أعتقد أن الناقد أبوبكر الفقهي قد جانب الصواب في اعتداده بتقليدية القصيدة حيث يعد تلك الاستهلالية التقليدية التي تلازم الشعراء مقدمة لابد منها «إنها تمهد للقارئ أن يسلك إلى بيت القصيد بطريقة ساحرة أخاذة في النفس، فهي منفذ طبيعي إلى قلب القطعة، إن القارئ لو أراد أن يحذف هذه المقدمة (الغزلية) من أية قصيدة لوجد شيئا من التردد في قراءتها، والشعر القديم كله على عمق معانيه وضخامة لفظه، نجده محلى بهذه المقدمات، إذاً فليس الأستاذ الماجري بمقلد في هذا وإنما هو ملزم بذلك»[2].

كما نجد من النقاد من شكك في وطنية سليمان الباروني عندما طلب منه حلق شَعْره[3] – الذي جعله عنوانا على الصمود ومواصلة الجهاد– بعد إبرام الصلح مع إيطاليا ولكنه اعتذر،

---

(1) (ندوة شعرية حول النكبة والبناء)؛ مجلة الضياء العدد6 السنة الأولى سبتمبر 1957 ص: 34.

(2) المرجع السابق؛ ص: 34.

(3) ذلك أن سليمان الباروني أقسم مع بعض المجاهدين الذين هزموا في معركة الأصابعة سنة 1913 على ألا يحلقوا شعر رؤوسهم إلا بعد أن يطرد العدو الإيطالي من أرض الوطن، وقد وفي الباروني بقسمه، وظل على عهده، إلى أن أدركته المنية في مدينة بومباي في الهند سنة 1940. ولا يزال هذا الشعر محفوظا في المتحف الإسلامي بطرابلس. انظر: مجلة الشهيد العدد 5/ 1984 هامش ص: 145.

فطلب منه أن يبرهن على حسن نيته باعتباره من الزعماء البارزين في البلاد بأن يمدح ملك إيطاليا (فيتوريو عمانويل)، فأنشأ قصيدة وصفت باليتيمة، تقول أبياتها:

عـــش أيهـــا الـــشَّعْر الجليـــل ... مـــسترســـلا كالســـلـــسبيـــل
تحكـــي ظلامـــا شـقّـــه ... قمـــر لـــه طـــرف كحيـــل
تحيـــي شـــعورا لم يـــزل ... هـــو الحيـــاة لكـــل جيـــل
دم شـــاكرا ملكـــا سمـــا ... ويتـــوريو عمانـــويـــل
أعطـــى طـــرابلس العـــزيزة ... حقـــها أســـدى الجميـــل
فليحـــيا تاجًـــا للممالـــك ... سالـــكا أهـــدى سبيـــل
وليبـــق منـصور اللـــوا ... وبجيشـــه الدنيـــا تسيـــل

ويرد محمد مسعود جبران على من وصفه بالخيانة والتخلي عن الجهاد والنضال ومداهنة الاستعمار، بأن القصيدة قصيرة لم تتجاوز السبعة أبيات مما يدل على أنه اضطر إلى إنشادها، ويرى أنه اقتصر على النثرية في شكلها، وعلى ما لا بد منه في المدح في معناها، كما يرى أنه خص نفسه بثلاثة أبيات ولممدوحه بأربعة أبيات فقط، ولو كان صادقا فلربما كانت نتيجة تبدل الأحوال العامة، وتغير الظروف في إيطاليا مع إرادة الشعب الليبي في طلب القانون الأساسي الذي يكفل الكرامة والأمن.

كما يدلل على براءة الرجل مما نسب إليه بأمرين: الأول: اعتذاره عن حلق شعره عندما طلب منه ذلك، الثاني: ما عقب به الباروني على هذه القصيدة مما يوحي بحذره وسلامة قصده ونيته بقوله: «دعوت هذا الدعاء عملا بقوله تعالى: «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»؟ وإذا نقضوا إحسانهم بالإساءة لطرابلس، فإني أستغفر الله وأتوب إليه»[1].

2.2.5. حب الوطن والتغني به:

التفت علي الجندي إلى قضية وحدة الوطن حتى تتمكن البلاد من الإحساس بلذة الاستقلال وتتنسم نسيم الحرية، ويكون هدف المواطن خدمة البلاد وإصلاح الوطن، لتتكون منها الدولة الليبية المتحدة[2] يقول أحمد رفيق:

(1) انظر: (شعر الجهاد في ديوان الباروني)؛ مجلة الشهيد العدد 5/ 1984 ص: 147، 148.

(2) انظر: (تعقيب من آراء على شعر رفيق)؛ ديوان رفيق شاعر الوطنية. ص: 160.

ديننا التوحيد، فالتوحيد في	وطن ليس بتوحيد وثن
لا أرى التفريق فيما بيننا	غير محو أوحياة في محن
كيف نحيا في غنى عن بعضنا	إنما نحن كروح في بدن
نحن -والحب صفا- تجمعنا	لغة، دين، دم، عرق، وطن

إن توحيد الوطن بسبب الوشائج والروابط كما أن الاقتداء بالدين في توحيد الوطن أمر واجب، والجدير بأبناء ليبيا أن يكونوا بها كروح في بدن يسعون إلى ما يرفع شأنهم ويقوي صفوفهم ويسعد حياتهم[1].

ويواجهنا حبه لوطنه وحنينه إليه قويا جارفا في قصيدته التي نشرها وهو يهم بمغادرة البلاد، حيث تتأجج عاطفته القوية عند مغادرته الوطن إلى تركيا المرة الثانية، التي جعلت من هجرته وخروجه تجربة أليمة عاشها الشاعر في حزن وأسف ومرارة، ولكن محمد دغيم يتعجب من أمر رفيق في أنه لم يظهر هذا الحب للوطن والتغني به إلا في هذه الفترة، أما في الفترة السابقة فلم يذكر بلده إلا عرضا وتلميحا في ثنايا قصائده[2].

ولعل السبب في نظري يرجع إلى ما كان يعانيه وطنه في هذه الفترة من مآسٍ وويلات من جراء الاستعمار وأعوانه، وبدأ يحس بضرورة مشاركة أبناء وطنه في الدفاع عنه، فجاشت نفسه والتهبت عاطفته وبخاصة عندما أجبر على الخروج من وطنه، فجند نفسه للتغني بحب ذلك الوطن، وبالتالي الدفاع عنه بالكلمة المقاتلة والإرادة الصلبة، لبناء صرح وطنه العزيز حيث يقول:

رحيلي عنك عز علي جدًا	وداعاً أيها الوطن المفدى
وداع مفارق بالرغم شاءت	له الأقدار نيل العيش كدا

كما أن هذا الحب والشوق والحنين يوجه إلى الحبيبة الأرض عند الشاعر علي الرقيعي، فهو بدون هذا الحب لا يستطيع أن يشق الشاعر طريقه في الحياة، بل يعيش الضياع والعدم، لنتأمل قوله في هذه القصيدة (أحن إليك) يقول:

---

(1) انظر: (الوحدة الوطنية في شعر رفيق)؛ محمد رضوان. مهرجان رفيق الأدبي. ص: 128.

(2) انظر: (نظرات في شعر رفيق السياسي)؛ مهرجان رفيق الأدبي. ص: 108، 109.

أنا لا أبالي إذا أنت لي ما الهدى؟ ما الضلال؟
وما قد يصير وما قد يقال
.....
أحبك حتى ليخضر تحت خطاي الثرى...

كما يقول في قصيدة(غربة):
بلا عينيك تبتسمان لي وحشة الدرب

وفي قصيدة(عيناك) نقرأ قوله عن هذه الحبيبة:
عيناك يا محارتي الخضراء صدر أم

بينما في قصيدة(الأرض والسمراء) يقول:
عندما ينبض تاريخ بلادي...

فعن هذه الأبيات وسواها يتحدث سليمان كشلاف حديثا معبرا عن هذه المحبة التي يكنها الشاعر للأرض والوطن، بحيث يتحول هذا الحب إلى ما يشبه العبادة، إذ في «هذه المرحلة التي يمثل فيها الحبيب كل شيء في دنيا محبوبته، حتى ليتصور أحيانا أنه يعبده، يختلف التعبير عنها من قصيدة إلى أخرى مرة يكون الحديث عن حقيقة معنوية، عن الهوى والضلال، وهي صورة غاية في التسامي والخيال، لكنه ينطلق من تلك المعاني المجردة إلى الألفاظ ذات المعاني المادية كالخضرة واللآلي، لترتبط المعاني المادية بالمعاني المجردة.

فيحس الشاعر بأن الأرض تخضر تحت خطاه، وأن المرتفعات ترمي على كتفيه اللآلي وبدون هذا الحب يكون الفراغ، والضياع، والعدم، بدون هذا الحب تزول الذات وتضمحل، ويضمحل الإحساس بالوجود، وقد لا يكون تصوير هذا الحب قريبا من الإحساس إلا إذا اتخذ الوسائل المادية، وقد يأتي مباشرة تعبيرا مباشرا عن حب الوطن»[1].

فهذا الحب للوطن الأرض يرتبط بالانتماء والوجدان، يشير لذلك عبد الوهاب الحراري في نقده لمقطع من شعر الشاعر عبد المجيد القمودي من ديوانه (زغاريد في علبة صفيح) من منظور الشاعر الذي عشق الأرض «تلك المحبوبة التي هي جزء من حياته التي

(1) دقات الطبول؛ ص: 129 – 132.

عليها ولد ونما وكبر وتتلمذ، فحبّ الوطن فريضة، وحمل الماء والإنسان والدفء والتغني بالحياة أمانة حملها في عنقه، كرس ذاته لانتمائه:

أنا ابن الأرض، فنغرس بها أبدًا
أعاندها وأشقى في ثناياها
وأزرع بذرتي فيها

ومن هنا يتضح للقارئ روعة التعبير وصدق المشاعر في ارتباط شاعرنا الليبي بوطنه الذي هو جلد عظمه، وقبلته في خضم الحياة، فالأصالة الليبية ترفض مهما كانت المغريات أن تخون سنابل القمح في هذه الأرض»[1].

صارت عبارة سنابل القمح في هذه الأرض تقليدا لكل متحدث، وهي وإن كانت تحمل رمزا ما فإن فيها ما يوحي بالمنفعة، وليس الحب الخالص مثل حب ثرى الوطن، أو حب الوطن يوحي بالتفاني المطلق، لمجرد الحب فقط.

بل لا يختلف هذا الإحساس كثيرا عما يحس به الشاعر علي صدقي عبد القادر تجاه وطنه، يوضح ذلك زياد علي الذي يرى أن «آخر قصيدة بالديوان (وتغتسل الدنيا بقطرة) يقول:

وعلى نافذتي كأس من الفخار الأحمر
هو من طين بلادي
إنه أكبر من نافذتي الخضراء، أكبر
وعلى حافة كأسي تغتسل
أمنا الدنيا بقطرة...

حقا إن الشاعر يحلم بأن تتحول كل ذرة من تراب هذا الوطن إلى ورد وفلّ وياسمين، يجد معه المرء الارتباط العميق بهذه الجنة الفريدة من نوعها، ويتمنى لو يملك الأيدي التي تمتد لمساعدة كل واحد»[2].

---

(1) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 35.

(2) والكلمة أطول عمرًا. ص: 142، 143.

كما يلتفت جميل حمادة إلى سبب هذا الحب للوطن والتغني به عند الشاعر عاشور الطويبي الذي ينظر للوطن على أساس أنه «واقع حي وطبيعة ثرية خلابة، إنه يصفه في مقطوعة (واقع) إحدى مقطوعات (قصائد) في جمل معدودة قليلة، يحصي فيها ملامح رئيسة لوطن نموذجي يقابله الشاعر بالحفاوة والترحاب:

هذا النهار وهذه الخيل
هذا البحر وهذه الساحة الدم
هذا النخل الشاهد
وهذه السُنَوْنُوَة الشاهدة
مرحى يا وطني...

إن الوطن رائع وخلاب وجميل ما دام يمتلك كل هذه الفتنة: النهار، الشمس، والخيل، والليل، والساحات، وتاريخ الأجداد المضمخ بالدماء، والنخل السامق الشاهد، والطيور التي تأتي من كل فجٍّ عميق، تشهد على أن هذا وطن يستحق أن يمجد»[1].

ونتيجة لذلك الحب الذي لم يصل إلى مداه بعد، نجد من الشعراء من يلجأ إلى الهروب من الواقع كهذه النغمة التي تخيم على أشعار الشاعر علي الفزاني، نتيجة التشاؤم التي يرجح طاهر عمران «أنها تعود إلى اعتقاده بأنه لم يستطع -من خلال قصائده الثائرة- أن يحقق ما كان يحلم به لوطنه ولمجتمعه وذاته من حرية وعـزّة وكرامة:

رؤى مواطني بمقلتي.. والذل والسؤال
حريتي، حبيبتي، مدينتي
قصائدي
أسطورة محال»[2].

(1) (أسئلة القصيدة)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 75 يناير 1994. ص: 60.

(2) النزعة القومية في الشعر الليبي؛ ص: 133.

بينما يرجع أحمد عطية سبب هذا التشاؤم عند الشاعر علي الفزاني إلى يأسه بعد كل الجهد الذي قدمه من أجل وطنه وشعبه الذي بدا غير آبهٍ به، إذ يرى أنه قد «كتب وناضل وعاش من أجل شعبه، ولكنه ظل يغترف الغربة والضياع بدون فائدة، فالعتمة تشتد...»[1].

3.2.5. التبشير بالثورة:

في هذا الجانب يكاد يجمع النقاد على أن الشاعر علي الفزاني أكثر تفاؤلا من غيره، بالرغم من أن بدايته كانت قاتمة، وصلت به إلى درجة اليأس والتشاؤم والغربة في العديد من قصائده، وهذا التفاؤل تمثل في قصائده التي تبشر بالثورة، وتنتظر الأمل المشرق، فهو يبين لنا كيف «جرّب الشاعر كل الطرق كي ينسى عذابه: الحانات، العاهرات، السفر والرحلات، المغامرة، ولكن بلا فائدة، إذ ظل عذابه هو عذابه، وأيقن أنه سيظل يغني أشعاره مصلوبا، مع أن الأميرة (ليبيا) التي يتغنى من أجلها لا تبالي، وتتسلى بعذابه ودمائه، وعندما يكتب الشاعر هذه الكلمات في عام 1966 في ظل حكم رجعي بوليسي، فهو إنما يهمس للشعب الليبي بآلامه داعيا إياه إلى اليقظة والثورة... وعندما يكرر الشاعر تساؤله الأليم: ثم ماذا؟ ثم ماذا؟ فإنما يقول للشعب الليبي أقوى الكلمات الحاضة على الثورة بلغة الشاعر المفكر:

صلبوني فوق أعواد حقيرة
صلبوني، والأميرة
تتسلى بدمائي، بنزيفي
وعلى الثغر ابتسامة
مثل جرحي، فاغرًا يدمي ويؤلم
فخذيني إنني بعض البقية
إنني كل الضحية...»[2].

بينما يشير عبد الوهاب الحراري إلى الوجه الآخر في هذه الأبيات التي على الرغم مما «تحمله من وزن سليم وأحاسيس مرهفة، وإيحاء عنيف، ودلالة لفظ محددة، فهي تحمل

(1) في الأدب الليبي الحديث؛ ص: 44، 45.
(2) المصدر نفسه؛ ص: 31، 32.

غضب الأحرار وصدق الثوار، وأصالة وانتماء الوطنيين الذين –دائما– تعيش الحرية روحا في حياتهم وأمنهم واستقرارهم»[1].

كما يلتفت أحمد عطية إلى هذه القضية في قصائد أخرى للشاعر، ويؤكد على العودة إلى الواقع الليبي وإلى الوطن السليب بعيدا عن الغربة[2].

كما يرى الناقد أن هذه القصائد في مجملها تبشر بالثورة، وأن الشاعر يتنبأ وهو واثق بأنه سيأتي جيل جديد من الثوار يخرجون من بين الجياع والمعذبين والعراة، يحطم كل أساطير الغزاة، ومخاوف الظلام، ذلك أنه يؤمن بقدوم ذلك اليوم الذي تنهار فيه العروش العميلة، وتنتصر الحرية، يتضح ذلك في قصائد ديوانه (رحلة الضياع) حيث يتحول «الشعر عند علي الفزاني إلى لهب شجرة خضراء تحميه من البرد والحرارة والجراح:

سوف يهمي مطر دامي الغمامة
إنه جرح الكرامة
سوف يحكي
عن ليالي الدم والثأر إلى يوم القيامة.

فمن يعبر الليالي – الثقيلة بالهموم والأحزان، والدروب المجهولة الشائكة، لكي يزرع ابتسامة تضيء درب الإنسان– يمتلك القدرة على حمل الشمس لبيت استفحلت فيه الظلمة، وسكنه الجوع والغربة، إن هذا الشاعر الإنسان لا يحلم إلا في المطر الدامي، الثورة، الثأر، ويظل هذا الحلم الوردي رفيقه إلى يوم القيامة»[3].

وعلى هذا الأساس فالشاعر هنا ليس شاعر العواطف والانفعالات فحسب، بل هو يحمل على عاتقه عبأ عظيما تجاه هذا المجتمع، إذ عليه أن يقوم بدور كبيرز

وهذا ما أوضحه عذاب الركابي من أن الشاعر علي الفزاني «يقوم بدوره الهام والشاق، فيقف ثابتا شجاعا يكشف نبوءة الثورة، ووقع خطواتها النارية، رافضا كل صور الاستعباد،

(1) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 71، 72.

(2) في الأدب الليبي الحديث؛ ص: 45، 46.

(3) (الشعراء يزرعون الضوء)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 20 / 1982 ص: 173، 174.

مناديا - بكل ما يمتلك الشاعر من جرأة- بالحرية للجميع، والحياة الهادئة، حارقا غابة العذاب، وصور الطغاة، والقوانين البالية التي تشل حركة الإنسان وتلقي القبض على أحلامه وأمنياته، وتلقيه في بئر مظلمة:

تركت عذابي على صفحتي
تركت نزيفي يا أمتي
خذيني حنانا وحبا، وشوقا عظيما
مشيبا، عذابا، صراعا، نضالا
فهذا الألم
لكي تولدي، لكي تبعثي..»[1].

ويرى عدنان سكيك أنه كلما اشتدت المصائب والمحن على أمة آذنت بميلاد بعث جديد أو (اشتدي أزمة تنفرجي) -كما يقال- من خلال ما دعا إليه الشاعر علي الفزاني بقوله:

رأيت في عيونه البلهاء ما رأيت
البعث.. والميلاد.. والألم
رباه.. دع عذاب أمتي بها يطول
رباه.. بارك الحراب إذ تغوص في صدور هذا الجيل[2].

حيث يعقب الناقد بأن «هذه المحن والآلام، لا تفت في عضد الشاعر، ولا تحمله على تغيير موقفه، بل لعله يستبشر خيرا بهذه المصائب والآلام، لذا فهو يدعو الله أن يطيل عذاب أمته ويبارك الحراب التي تنغرس في صدور هذا الجيل، فمن الألم ينبثق الفجر، ومن المخاض الأليم يطل ميلاد جديد»[3].

وإذا ألقينا الضوء على الشاعر محمد الشلطامي نجده يبشر بالثورة من خلال قصيدته (حوار) التي يقول فيها:

---

(1) المرجع نفسه؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 20 / 1982 ص: 175، 176.

(2) قصيدة بعنوان(قصائد عن البذور والحب والحرية)؛ ديوان مواسم الفقدان، علي الفزاني، الطبعة الأولى 1977 المطبعة السريعة / باب العزيزية، طرابلس، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان/ طرابلس. ص: 20.

(3) (التمزق والتلاحم)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 9/ 1980.ص: 10.

يارفيقي
كلما كانت ليالي السجن أقتم
كلما كان الحنين
لضياء الشمس والحرية الحمراء أعظم
ربما يمتصك القبر...

فعبر هذا الإحساس وبهذا المقطع وغيره نجد الشاعر يصوغ تجاربه بحيث تحمل التنبؤ بالفجر الجديد، فجر الحرية والانعتاق[1].

بينما يعلق زياد علي على المقطع السابق بأن «الإنسان الصادق الشريف لا يناضل تحت معادلة الموازنات، لا يحسب المكسب والخسارة ولا حتى الموت، وإذا ما بقي له من همّ، فهو أن يعرف ماذا سيحدث فوق هذه الأرض من بعده، فالروعة أن يركض الإنسان نحو الموت مرفوع الجبين:

... إنما نقتل من أجل الصباح

من أجل الثورة الحلم، الحقيقة، الجماهير، القيم، والمبادئ النبيلة، فالصباح المنتظر عام 1968 كان الثورة، فهل هذه القصيدة بعيدة عن التبشير بالثورة؟»[2].

كما يرى الناقد أن الثورة تتحدى المستحيل، ويتعذب القلب الإنساني، لأنه يحس بآلام البشرية والمستضعفين، حين يقول الشاعر محمد الشلطامي في هذا:

عندما يحلم ثأر
ثورة الأحجار في أقسى جبل
وأنا، والليل، والصمت
وزهر الأقحوان
ننشد الساعة نجم الثورة الحمراء في كل مكان
وأغني للملايين الفقيرة
كلما اشتد بقلبي

(1) انظر: قراءات في الشعر الثوري؛ ص:100، 101.

(2) والكلمة أطول عمرًا؛ ص: 112- 114.

عنفوان الضوء في شمس الظهيرة
حينما يزحم قلبي
بملايين الجناة.

نجد هذا الحلم الحقيقة يتكرر في قصائد أخرى مثل قصيدة (ليالينا) للشاعر نفسه التي نشرت على صفحات جريدة الحقيقة في أغسطس 1968[1].

كما أشار ناقد آخر إلى هذه الحقيقة عند الشلطامي حيث يرى أن الشاعر رغم ما يعانيه من «القهر والظلم والتعاسة استطاعت أغنياته أن تخترق جدران السجن السميكة لتبشر بالانتصار، ولتحرض على اكتساح العرش العميل، ولتحلم بذلك الفجر العظيم الذي تنهار فيه كل الطواغيث:

ومن ينسف القبو؟
أنا هنا
يعذبنا أننا لن نعيش
وتمتد أعمارنا
لتقذف أشعارنا للوجود
ونهتف أنـّا رأينا الحديد
على الأرض
أنـّا رأينا الحريق»[2].

وكذلك في قصيدة (الاتهام) للشاعر نفسه، حيث يرى عبد الوهاب الحراري إصرار الشاعر على تصوير «حالة النظام الذي صار هو الآخر يعيش في رعب وخوف شديدين من عملاقي الثورة والزمان، اللذين يحملان في جرابهما ما فعلت يداه في الضحايا الذين أهدرت دماؤهم رخيصة من أجل الحرية في إطار(مجزري) ممزوج بالوحشية والقصاص والتعذيب، فيعقب الشلطامي في تتابع متلاحق قائلا:

(1) انظر: والكلمة أطول عمرًا؛ ص: 91.

(2) الكلمة الشرارة؛ فوزي البشتي. ص: 133.

الباب يغلق والصباح
آتٍ أحس به كأن يدًا تحطم في الظلام
سور المحال، كأنَّ ضحك الدهر ينذر بالبكاء
فأرى صليبك، صولجانك، وانتهاءك مبتداك
وأراك تحصد في حقول الموت ما زرعت يداك
الآن مثلي أنت ذا في الرعب تنتظر الصليب
تصحو على وهم، يدًا تداس لك الفناء»[1].

إن الذي يتطلع إلى الفجر الجديد، إلى الحرية والثورة على الأوضاع القائمة، هو الذي عايش ما يعانيه أبناء البلاد من قهر وذل وتخلف، وبذلك يستطيع أن يعبر عن أحاسيسهم ومشاعرهم، ويتنبأ بغدٍ مشرق، وهذا ما ينادي به الشاعر علي الرقيعي في قصائده فقد «كان دائما يحس بصدق وإخلاص من خلال نظرة علمية واعية بكفاح الإنسان، بجميع التناقضات وجميع الحركات والتغيرات الاجتماعية، فيحللها في عمق وصدق، يظهر ذلك حينما يعيش حياة الناس البسطاء في أزقتنا المظلمة، ويسبر أغوار قلوبهم، ويعبر عن حياتهم وعن تناقضاتها في قصيدته (في بلادي) وحينما يحلل الشاعر أمسنا ويحلم بمستقبلنا في قصيدته (أمسنا الثائر) كل هذا في صدق مع الإحساس بأن كفاح الإنسان لا بد أن يتوج بالنصر في مستقبله:

ثار العبيد فسلطوا الجلاد يخنق صوتنا
وتخيروا عمق السجون لكي تقوِّض عزمنا
وضعوا القيود ثقيلة.. وضعوا الحديد لقتلنا
لكن غدًا لابد أن تبدوا براعم فجرنا»[2].

كما يرى ناقد آخر أن قصائد الرقيعي تحمل البشارة وتحاول الانفجار لتقدم إضاءات لعالم لا نراه، إنه كل آت وقادم ومستقبلي، فهي تتطلع للغد المشرق من خلال كلمات القصيدة[3] حيث «تأتي الكلمات وكلها تحفز.. كلها دعوة للثورة.. كلها بحث وتساؤل عن ذلك الفارس المجهول الذي يفتح الدرب للنسور.. للحب.. للحياة:

(1) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 98.

(2) مقدمة ديوان الحنين الظامئ؛ كامل المقهور، ص: 39.

(3) انظر:(القصيدة شرفة المستقبل)؛ فوزي البشتي. مجلة الفصول الأربعة العدد 58 النوار1992 ص: 191.

يا بذرة الحب العميق
لا تنطفي فلكم يعذبنا الحنين
لك في قرانا الخضر.. في يوم انتصار
صافٍ كوجه أبي يدندن في النهار
حيث المسافات البعيدة والقفار
تعنو.. وحيث بلا جدار
تنساب أغنية الرفاق الظافرين»[1].

ونأتي على شاعر الوطن أحمد رفيق بمشاعره المتوثبة وعاطفته الفياضة، فهو دائم التبرم والسخط على الوضع القائم منددا بالاستعمار وأعوانه، كاشفا جرائمهم وأفاعيلهم مما أدى بالعديد من النقاد أن يعدّوا ما قام به رفيق تهيئة وتنبيها للمشاعر بضرورة العمل على التغيير والإصلاح حتى يستقيم حال البلاد، إذ يرى عبد المولى الحراري أن الشاعر يعد من بين الأسباب التي مهدت لقيام الثورة «فقد كان ينادي بالثورة جهارًا عندما فقد كل أمل في الإصلاح، أليس هو القائل:

سجون وإرهـاب وعهـد مـذمم ... فويـل لمـن يـستاء أو يتظـلم
....
فلم يبـق إلا ثـورة وطنيـة ... يسيل إلى الكعبين جراءها الدم

ويقول في موقف آخر:

ظلم وقتـل النفـس واستعمار ... ثوروا لأخذ الثأر يا أحرار»[2]

فعن هذه الأبيات وسواها يؤكد محمد وريث هذا المعنى مشيرا إلى أن الغضب بلغ برفيق حدّاً كبيرًا جعله «يتمنى أن تشتعل ثورة وطنية عارمة.. يتخلص بها الشعب من سالبي خيراته ومحكمي قيوده.. مهما كانت النتائج، تلك الثورة وحتى لو سالت الدماء منها أنهارًا»[3].

(1) دقات الطبول؛ سليمان كشلاف.ص: 125.
(2) (نظرات في شعر رفيق)؛ مهرجان رفيق الأدبي. ص: 232.
(3) (أحمد رفيق: هوامش على حياته)؛ محمد أحمد وريث. المصدر السابق ص: 148.

كما نلحظ تفاؤلا عارمًا في أشعار خالد زغبية يؤذن بانبلاج فجر جديد، لأن انفعاله صار «مليئا بالحلم والفجر القادم وهتافات الحياة، ومن أجل ذلك جاءت صرخاته حادة وعنيفة بحجم الآمال والأحلام:

يأيها المتلهفون إلى الصباح
لا تيأسوا
إن طال ليلكمو
في عربدات الجراح
لا تيأسوا
الليل يعقبه الصباح»[1].

ومما يدل على التنبؤ بالثورة والتبشير بها في شعر رجب الماجري ما أشار له أحد النقاد من أن «قلوب الشعراء يقين، لك أن تستمع إليه في قصيدته (إلى زوجتي) والتي كتبها سنة 1965 لتلمس هذا اليقين، وكأني بالشاعر يكشف الغيب والمجهول.. فيقول لزوجته وكأن كل شيء قد تم حسمه:

فلتحفظي هذه الرسالة
ترنيمة
تهويمة عذراء تزخر بالحياة
فتهدهدين بها ابنتيك
صغيرنا المأمول لليوم العظيم
يوم انطلاق الشعب في كل الربوع
في ثورة حمراء تلتهم الحدود
وتحيا أسباب التخلف والفناء
حرية بيضاء نبني للحياة»[2].

(1) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 83.

(2) (رجب الماجري: قصة قلب)؛ بلا اسم للكاتب. مجلة الفصول الأربعة العدد 79 / 1995. ص: 45.

هذا التطلع للغيب والاستكشاف له يلحظه علي عبد الشفيع الخرم في قصيدة (الركب التائه) للشاعر إبراهيم الأسطى عمر بالرغم من دقّة مأخذه، حيث «... يشرق آخر مقطع من القصيدة بالتفاؤل والأمل في يقظة الجماهير وانبعاثها لتحقق حلم الحرية والكرامة.. تفاؤل رغم قتامة الواقع آنذاك، ونظر بعين الغيب إلى ما تحقق بعد وفاته بسنوات طويلة:

هــلل الحـادي وإذا بالركـب قـد شـد عـراه
ومـضى للهـــدف المنـشود لا يبغـي سـواه
وسرى الإخلاص في القوم على أقـوى عـراه
شملتهم رحمة فـــي اليـأس من عنـــد الإلـه

***

فرأوا في الليل نجم القطب فانصاعـــوا شمالا
وأتوا العمران في الصبح وشبـــح المـوت زالا

***

هلل الركب بأصـوات تقـول
نحمد الله هـدانا للـسبيل»[1]

كما يتهلل الشاعر علي صدقي عبد القادر لقيام الثورة وإجلاء القوات الأجنبية عن الأرض، لأن هذا أمل كل الشعب في الحرية والخلاص من كيد المستعمر، حتى تمنى أن يبعث أبوه من قبره لكي يشاهد ما كان يأمله ويتمناه وقد تحقق على أرض الواقع، كما يرسل شاعريته الخصبة متوجة بالآمال بعد أن انتهى عهد الذل والعبودية والهوان[2].

3.5. القضايا القومية:

في هذا المبحث أتناول القضايا القومية للوطن العربي الكبير، وذلك من خلال الدراسات النقدية التي أجريت على الشعر الليبي الحديث والمتعلقة بهذه القضايا، وحيث إن

(1) (ملاحظات خاطفة حول قصيدة الركب التائه)؛ مجلة الثقافة العربية، العدد3/ 1991. ص:124.

(2) انظر: علي صدقي عبد القادر: شاعر الشباب؛ ص: 100 – 102.

الوحدة العربية مطلب كل عربي والطريق الوحيد لتحرير الأراضي العربية، والمقدسات الإسلامية، فإن الوصول إلى هذه الوحدة لا يتم إلا بتكثيف الجهود وتوحيدها لمقاومة العدوان ومن ثم المحافظة على كيان الوطن العربي واستقلاله، وتأمين موارده الذاتية الطبيعية والاقتصادية، حتى يعيش الشعب العربي حياة حرة كريمة يعمها الأمن والسعادة والرخاء.

ومن هذا المنطلق اتجه الشعراء للمشاركة في المعركة المصيرية عن طريق الكلمة المقاتلة التي تدعو إلى النضال والتحرير، ولمّ شتات العرب.

كما أولى الشعراء قضية فلسطين عناية خاصة بحيث يسهمون في تحرير هذا الجزء المحتل من الوطن العربي، في الوقت الذي حظيت فيه العديد من البلدان العربية الأخرى التي تسعى لنيل حريتها بمساندة الشعراء والأدباء ليتحقق لها ما تصبو إليه.

1.3.5. الدعوة إلى الوحدة العربية:

اتفق أغلب النقاد على أن العديد من الشعراء الليبيين يدعون إلى الوحدة العربية ويبشرون بها، وأنها الطريق الوحيد للوقوف في وجه الأعداء، والدسائس والمؤامرات الاستعمارية البغيضة، ومن الشعراء الداعين للوحدة أحمد قنابة حتى جعل منها موضوعه الشعري الأثير لديه، كما في قصيدته وأكرم بها من وحدة؛ وكذلك الشاعر أحمد الشارف الذي كانت الوحدة العربية إحدى أمانيه الغالية كما يشير لذلك في قصيدته نحن بنو العرب؛ ومن الشعراء من دعا للوحدة العربية الشاملة ليعيد تاريخ الآباء والأجداد في أرقى العصور، كما في أشعار أحمد رفيق.

إذ يرى نجم الدين الكيب أن من أبرز الشعراء الليبيين الداعين للوحدة العربية أحمد قنابة فهو يعـدّ أكثرهم «تناولا لموضوع الوحدة في شعره، حتى جعل منها -أو يكاد- موضوعه الشعري الأثير، فهو يرى الوحدة صِنـْوًا للحق والعدل والإنصاف، وهي بهذه الخصوصية يجدها أهلا لمن يتساكنون منطقة واسعة من آسيا وأفريقيا وهم أمة العرب الناطقة بالضاد، يقول في واحدة من قصائده (وأكرم بها من وحدة):

الحق والعدل والإنصاف وحدتنا والناطقون بحرف الضاد أمتنا»[1]

(1) (إرهاصات الوحدة العربية في الشعر الليبي المعاصر)؛ مجلة الفصول الأربعة، العدد:26 اكتوبر 1984، ص: 139.

بينما نجد الشاعر أحمد رفيق يتنبأ بقيام الوحدة العربية كما تنبأ بقيام الثورة وبشر بها، وهذا ما أشار إليه عبد المولى البغدادي بقوله: «وإذا كانت نبوءة الشاعر فيما يخص الثورة على الأوضاع الفاسدة قد تحققت، فإن له نبوءة أخرى هي الآن في طريقها إلى التحقق بإذن الله، ألا وهي الوحدة العربية الشاملة القائمة على أساس من شريعة السماء، لتسد الطريق أمام الطامعين، وتفتح المجال أمام الإنسان العربي لينطلق إلى غاياته المنشودة، ويعيد تاريخ الآباء والأجداد في أزهى العصور، يقول رفيق:

ها هي الوحدة الكبرى تمثلها ... في الشرق جامعة أضحى لها شأن
لكن من عجب يدعو إلى أسف ... مصر يقال لها مصر وسودان
فكيف يقبل ذو عقل لبرقة ... أن ينفك عنها طرابلس وفزّان
فليتق الله من في قلبه مرض ... فكل ما خالف التوحيد كفران»[1]

كما دعا الشاعر أحمد الشارف إلى الوحدة، وكانت إحدى أمانيه الغالية، إلا أن الواقع العربي مع ما فيه من تفرقة وهجر وانقسام كان ينغص عليه ما كان يتمناه، ويسوؤه ويزيد من شقائه[2] حيث يقول في قصيدة له بعنوان (نحن بنو العرب):

ألمّ بنا شوق يذوب له الصخر ... ويقضي علينا البؤس لو فُقِد البصر
وما شوقنا إلا لوحدة أمّة ... يشاد على مرِّ الزمان لها ذكر
ولم نر ما يدعو إلى البؤس والشقا ... سوى وطن فيه القطيعة والهجر

ويرى الشاعر إبراهيم الأسطى عمر أن الوحدةَ العربية غاية تسبقها خطوات، كان أولاها: إنشاء الجامعة العربية، إذ يبين عمر فيتور أن دعوة الشاعر لهذه الوحدة جاءت «في وقت عزَّت فيه الوحدة، وعزَّت فيه المنعة.. كانت الدول العربية مغلوبة على أمرها ترزح تحت نير الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإسباني، وعندما أنشئت الجامعة العربية كان الشاعر في طليعة المباركين لهذه المؤسسة، فألقى قصيدة عصماء في ذكرى توقيع ميثاق الجامعة العربية في 21/ 3/ 1946 جاء فيها:

الله أكبر والتكبير من دأبي ... إذا اعتراني ما يدعو إلى العجب

(1) (نظرات في شعر رفيق)؛ مهرجان رفيق الأدبي. ص: 232، 233.

(2) انظر:(إرهاصات الوحدة في الشعر الليبي المعاصر)؛ مجلة الفصول الأربعة. العدد 26. ص: 130.

قل لي بربك ما هذا النداء؟ وما هذا الذي جعل الأقوام في طرب»[1]

في حين يرى أحمد عطية أن الوحدة العربية لا تتحقق إلا بتوحيد الأقطار العربية من الداخل، وأن الوحدة الوطنية لأجزاء ليبيا هي الطريق السليم للوحدة العربية(2) وهذا ما أشار له الشاعر إبراهيم الأسطى عمر في قوله:

فمن أنباك أن بنا انقساما هداك الله - أوفينا الحقود؟
ومن أنباك أن لنا كيانا بغير الوحدة الكبرى يفيد
ألسنا للعروبة شبه جسر بفضل وجوده قرب البعيد
وحّد بلادنا الكبرى خليج إلى البحر المحيط وقد يزيد

بينما يرى فوزي البشتي أن هذه الأبيات يردّ بها الشاعر على عملاء الاستعمار، الذين يسعون لتقسيم الوطن وترسيخ سياسة العدو في التفرقة والتشتت، مما يدل على أن الشاعر قد «صمد في وجه مؤامرات تقسيم الوطن، ومحاولات إبعاده عن انتمائه العربي والقومي، وتصدى لكل الآراء التي كانت تكرس التشتت... وتسعى إلى دعم وترسيخ المفاهيم الاستعمارية والإقليمية البغيضة»[3].

كما دعا إلى الوحدة الشاعر علي صدقي عبد القادر وأنها أمر لا مفر منه، ولكن أمين مازن جانب الصواب -فيما أعتقد- حين رأى أن مفهوم الوحدة عند الشاعر يبدو غائما[4] إذ إن الشاعر في موقف المتعجب والمستغرب للوضع القائم، فهو يرى أنه لا يمكن الفصل بين أبناء الوطن الواحد، والأخوة الأشقاء الذين تربطهم وشائج قربى وروابط مشتركة، وكل ما يوجد من تقسيم للأرض فهو من آثار المستعمر وأعوانه، من الرجعيين والعملاء الذين نصّبهم الاستعمار لرعاية مصالحه وتأمين موارده الاقتصادية في المنطقة العربية، وهذا ما عبر عنه الشاعر بقوله:

(1) (إبراهيم الأسطى عمر شاعر الحرية)؛ مجلة الثقافة العربية العدد3/ 1991. ص: 118، 119.

(2) انظر: في الأدب الليبي الحديث؛ ص: 17.

(3) (الشاعر والرحلة)؛ فوزي البشتي. مجلة الفصول الأربعة العدد 10 / يوليو1980. ص: 83.

(4) انظر:(رأي في ديوان زغاريد ومطر بالفجر)؛ مجلة الرواد العدد 12 / ديسمبر1966.ص: 19.

يا أخي بالشام بالمغرب ما هذي الحدود؟
أحدود بيننا في وطن دك القيود؟
أنت بعض من كياني بك لي هذا الوجود
فإذا المشرق غنى صار بالمغرب عيد
وحدة الموطن يجري دمها عبر الوريد
وحدة في الدم في التاريخ في المجد التليد
نحن في وحدتنا الكبرى سنبني ونشيد

وهذا ما أكده نجم الدين الكيب عن الشاعر نفسه من أنه إذا ما «توفرت الإرادة الحرة للوحدة فإنها لا محالة ستتحقق فلطالما قلنا على مسمع من العالم أننا أبناء أمة واحدة، وحاولنا في العديد من المرات أن نثبت ذلك بالعمل، وذلك عبر مواقفنا التي رآنا فيها العالم ونحن في جبهة متراصة، والشاعر يطالب الغرب بأن يدع غروره جانبا ليعترف بأن العرب أمة واحدة، وأن وحدتهم قوية ومتماسكة وكفيلة بأن توفر لهم العزة والكرامة:

نحـــن إذْ مـــا شـــطت ديـــ ـــــار بنـــا فالـــشعب واحـــد
لا حـــدود تفـــصل الأمـــ ـــــة لا تخطـــيط جاحـــد
جمعـــت مـــا بيننـــا الأقـــدا س في الـــــشرق المجاهـــد
فانتـــصبنا تحـــت نـــور الـــشـ ـــمس مـــشبوكي الـــسواعد
نفهـــم العالـــــم أنـــا وحـــدة قامـــت تجالـــد
عنـــت الغـــرب الـــذي مـــا زال فـــي كبـــر يعانـــد»[1]

ويرى الناقد نفسه تفرد قصيدة (العروبة العظمى) للشاعر علي صدقي عبد القادر في مضمونها، بحيث يترك الشاعر العنان لأحلامه تأخذه إلى عوالم الحرية، وقد غطت الوطن العربي، وكست سماءه نورًا[2] من خلال إرادة الشعب العربي، التي تتطلع للحرية والوحدة العربية الشاملة إذ يقول:

(1) (ارهاصات الوحدة في الشعر الليبي المعاصر)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 26 أكتوبر 1984. ص: 149.
(2) انظر: المرجع السابق؛ ص: ن.

رفعت ستائر أعماقي
لأرى دنيا القلب المجهولة
وطرحت أمامي بسط النور
فرأيت بدورًا، وشموسًا، ونجومًا
ورأيت عوالم أرضية
وسماوية
تغمرها الحرية
بإرادة شعبي المنتصرة.

كما يلتفت الناقد لمقومات الوحدة العربية عند الشاعر حسن السوسي، هذه المقومات التي غيبتها السنون، إلا أن الغرب الحاقد أيقظ هذه الوشائج، التي عبر عنها الشاعر بقوله:

جمعت ما بينها أسمى صلات ونمّـــتها للعـــلى أم اللغـــات
عـربي الـروح والقلـب أنـــا نـسبي مثـل النجـوم النـيرات
أمتي قـد حلـّقت ثـم ونـــت ثـم قـد أيقظهـا بغـي العـــداة

ويرى أن للشاعر وقفات شعرية كثيرة في اتجاه الوحدة العربية متفرقة في أشعاره إلا أنه لم يضف كثيرا عما قاله معاصروه[1].

ومثل هذا الأمر وهذه الأماني في الوحدة العربية عند شاعرنا تطرق لها فرج الشلوي في تناوله لقصيدة (أمل الوحدة)[2].

فإذا ما أتينا إلى الشاعر علي الرقيعي وجدنا أنه ينظر للوحدة على أساس أنها خطوة تسبقها خطوات، حيث ينظر للوحدة بمنظار النضال، كما يرى أهمية التحرير والتلاحم النضالي مقدمة وبداية للوحدة العربية، نجد ذلك جليًا في أشعاره، حيث يقول:

(1) انظر: المرجع السابق؛ ص: 146.

(2) (قراءة في ديوان نماذج للشاعر حسن السوسي)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 64/ 65 أغسطس/ سبتمبر1993. ص:202، 203.

يا أخي قد أزف الموعد للطعن فهيّا
نوسع الأعداء تقتيلا ونسفا عربيا
ثم نجلي الغاصب العادي جلاء أبديا
إن في أقدامنا عزم البطولات أبيا

ومن كل هذا يصل نجم الدين الكيب إلى قصارى القول في أن «الوحدة العربية كما تطرحها علينا أشعار المرحوم علي الرقيعي هي تلاحم الأخوة العرب في النضال التحرري ضد العدو المشترك، وإذا كانت الوحدة العربية هي مطلب أساس وملمح في جميع الأوقات، لكنها في مراحل النضال ضد العدوان، وضد التسلط الاستعماري تكون الحاجة إليها أشد، فلا نجد الوحدة العربية في أشعار الرقيعي إلا في صورتها النضالية، وفي شكلها التحرري، وهو في هذا منسجم مع واقع الأمة العربية التي كانت تعيش فترة التململ والثورة والتطلع إلى التخلص من الاستعمار»[1].

2.3.5. الدعوة لتحرير الأرض العربية:

من خلال نظرة عامة وشاملة نلحظ أن الشعراء الليبيين قد شاركوا في هذا الجانب، وناضلوا بالكلمة الصادقة الهادفة، ولكن لكلٍ موقف من هذه القضية، فمنهم من أخذ موقف الرفض للأوضاع القائمة، ومنهم من اتخذ جانب النهي أو التوبيخ للمستكينين، الذين آثروا حياة الدعة والراحة، غير آبهين بما يلاقيه الوطن العربي من تمزق وتشرذم وتكالب من جانب القوى الاستعمارية، ومنهم من يذكرهم بالويلات والمآسي التي عاناها -وما زال- الشعب العربي من تدمير وتشريد وتقتيل في بقاع متعددة، ومنهم من يناشد الشعب للتصدي لهذه الأعمال، وردع المستعمر، وغسل العار، الذي لحق بالأمة العربية، في حين حاول الآخرون تذكير القائمين على شؤون البلاد العربية، بماضي هذه الأمة المشرق، وحضارتها المجيدة وهكذا.

ففي قصيدة (جواب) للشاعر إبراهيم الأسطى عمر، يستشف أحمد عطية موقف الرفض للخنوع والذل، حيث «يرفض الشاعر الإرهاب الذي يكمم الأفواه، يرفض الصمت

(1) (إرهاصات الوحدة في الشعر الليبي المعاصر)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 26 أكتوبر 1984. ص: 151، 152.

والقيد، لأنه يعرف أن مهمة الشاعر العمل والجهاد من أجل الحرية، فالشاعر طائر حرّ لا ترهبه الأصفاد والقيود:

قيل صمتا فقلت لست بميت ... إنما الصمت ميزة للجماد
إن معنى الحياة قول وفعل ... وهي رمز مقدس للجهاد
لا أطيق السكوت مادام قلبي ... خافقا واللسان يروي مرادي
إنما البلبل المغرد يشدو ... أينما كان في الربا في الوهاد[1]

بينما يرى الناقد نفسه أن طريق النضال عند الشاعر علي الفزاني، هي النضال بالحرب، وبالكلمة الصادقة، لا بأغاني الهوى القديمة[2].

في حين يشير طاهر عمران إلى تصوير الشاعر لحالة الوطن العربي المأساوية وما عليه العرب من عبث ولهو وغفلة وضياع وتشرذم، صور ذلك على لسان شهرزاد «وما اختار الفزاني شهر زاد إلا إمعانا في الدلالة على مأساة الإنسان العربي الذي نسي قضاياه القومية وغدا يلهو في ليالي شهرزاد الحالمة:

شهرزاد فتحت باب المدينة
ثم صاحت بالأبابيل اللعينة
ادخلوها. ادخلوا فالشرق موتى وسكارى
وبغايا وأباريق حقيرة
كم روت لي هذه الرقطاء في ليل التوتر...»[3].

ولكننا نجد له موقفا آخر، وهو أنه يحمل مشعل الحرية ليشعل مدن الكآبة والخنوع بثورة عارمة متأججة في داخله حيث يقول:

قلت لكم سرقت بعض النار[4]

---

(1) في الأدب الليبي الحديث؛ ص: 16، 17.

(2) انظر: المصدر نفسه؛ ص: 47.

(3) النزعة القومية في الشعر الليبي؛ ص: 161، 162.

(4) كأنه يريد بذلك النار التي سرقها (بروميثيوس) من الآلهة فاستحق بذلك عقاب كبير الآلهة (زيوس) على سرقة النار التي تدل على سر المعرفة عندهم. ثم انظر ديوان مواسم الفقدان قصيدة سارق النار ص: 39.

أوقدتها في داخلي، وتلك لعبة الرجال في القرار
أحرقت سور بابل
قاومت جحفل المغول والتتار
تاريخ أمتي بداخلي أحمله إلى المدائن البعيدة.

بينما يعقب عذاب الركابي على هذا المقطع بأن ارتباط الشاعر بالناس «ومشاركتهم الأحزان، والبرد، والخبز، وثوب الهموم، يمنحه القدرة على (سرقة النار) لكي يشعل بشجاعة مدن الحزن والكآبة والخنوع، وانتماؤه للثورة يمنحه الاستعداد الجهنمي لمقاومة جحافل (المغول والتتار) فيخرج بوجه الثورة المتدفق بالحياة والخلود، وبدمها وأقدامها الفولاذية حاملا تاريخ أمته إلى المدن البعيدة»[1].

كما يشير لتلك القضايا القومية مفتاح الشريف في عرضه لقصائد الرقيعي التي نظمت «في أحداث سياسية مهمة ألّمت بعالمنا العربي وتركت جراحات دامية... وأعني بها قصائد (موكب الفداء) عن فلسطين، و(فلتهنئي بالعيد) عن الجزائر المناضلة، وقصائد أخرى عن كفاح الشعب العربي في تونس، وتاريخنا البطولي الذي خضناه نحن الليبيين ضد قوى البغي والعدوان والاستغلال»[2].

نجد مثل هذا الموقف عند الشاعر أحمد رفيق ضمنه إحدى قصائده، من خلال إشارة حلمي مرزوق حيث «يعيش رفيق أحداث الأمة العربية شعبا شعبا، يأسى لما أصابها، ويضج بما يعتريها من أذى الغرب وصروف الاعتداء:

أمـا زال للأعيـاد في الـشرق رونـق ... وتـونس في سـيل مـن الـدم تغـرق
أبعد فلسطيـــــن الشهيـــدة عندنا ... سـرور بعِيدٍ! نحن بالحزن أخلــق
فلسطين في الأعماق ما زال جرحهـا ... يعـج دمـا أو أدمـعا تترقـرق»[3]

(1) (الشعراء يزرعون الضوء)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 20 ديسمبر 1982. ص: 174.
(2) (الحنين الظامئ)؛ مجلة الضياء العدد 2 أبريل 1957.ص: 32.
(3) النقد والدراسة الأدبية؛ ص: 193.

كما يصف الناقد نضال الشاعر أحمد رفيق الذي «يطرق به آداب الالتزام المعاصرة، لأن هذا المعيار غايته التزام الأديب بقضايا وطنه أو مجتمعه وأمته، وهذا هو غاية رفيق ومفتاح فنه وأدبه وشخصه جميعا»[1].

ويتناول عبد الوهاب الحراري من خلال قصيدة (إرهاصات زمن السقوط) للشاعر عبد اللطيف المسلاتي جانب الرفض للواقع العربي المخزي داعيا الحكام والأمراء إلى غسل العار الذي لحق بالأمة العربية، «يتجلى بوضوح وعي الشاعر القومي الحاد ونضجه الفني وإحساسه الدامي بهزيمة حزيران القاسية، فولدت هذه الهزيمة فيه نفسا شعريا رافضا مناضلا متفائلا غاضبا عن شخوص النكسة وألوان تطورها فصارت قضية الوطن والحرية هي الشغل الشاغل الذي تتشكل عبره خطوط معالجة الأسباب وكيفية تجاوزها نضالا لا استسلاما في شعر غاضب ينزف دما وتمردًا على الواقع العربي القائم:

أيتها العير أناشدكم
متى ترتفع الراية (فوق الذل، وفوق العار، وفوق الهون)
والجمع شتات، فما بال النسوة يا هذا؟
تعشق كهلا..
تنجب طفلا..
وتنام عن العورة دون حياء»[2].

ويمر بالتجربة الشعرية نفسها الشاعر إدريس بن الطيب إذ يقول:

يا رفاق الخزي والذل وأيام الهزيمة
عشعش البوم على رأس الجنود
وغزا الفيروس أعصاب العزيمة
فاستكـــنّا وضحكنا
وابتذلنا السين والتسويف في كل الخطابات الجديدة.. والقديمة

(1) المرجع نفسه؛ ص: 194.

(2) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 49، 50.

طأطأ التاريخ رأسه
ويقولون العزيمة
آه.. يا عاهة شعبي المستديمة.

وتتناول هذه التجربة فاطمة نداف التي ترى أن «هذه الشحنة الانفعالية ما هي إلا تعبير عن مستوى رفيع وصل إليه الشاعر، فهو يحمل أكثر من ارتقاء، فيه البداية وشبه النهاية، وما بينهما تتأرجح العلة المزمنة التي يعانيها شعبنا العربي.

إن الشاعر يمزق شرنقته الذاتية، وحدود الإقليمية لينطلق صوته من أقصى المغرب فيُسمَع صداه في الخليج العربي، أوليس هذا قمة؟؟

إن الشاعر يستوحي تجربته الانفعالية من واقع مرير، ويستشف ما في هذه الأمة من سوس ينخر فيها ويبعدها عن المواجهة الحقيقية»[1].

ويقف الشاعر حسن السوسي موقفا مغايرا تجاه قضايا النضال والتحرر العربيين، حيث يعيد إلى ذاكرتنا بطولات العرب وأمجادهم، أنفة من الحاضر وهروبا إلى الماضي الذي يجد فيه لذة ومتعة لا يجدهما الآن في واقعنا العربي، حيث يرى فوزي البشتي أن قصيدة (دمشق) التي نشرها الشاعر بديوانه نوافذ «تنطوي على رؤية تحركها الغيرة على العروبة:

فقفا نبك عهدها قد تولى ... وابن حُجْر عفت عليه الليالي
إنما قف هنا على الربوة الخضـ ... ـراء في غوطة الهوى والجمال
وتأمل دمشق واسجد لباريـ ... ـها وسبح لرب تلك المُجالي
ناجها إن سبحت حول حماها ... بجناحي حقيقة أو خيال

وهكذا فالشاعر يستعرض أمجاد دمشق في ماضيها واقفاً بنا حيال العديد من المحطات التاريخية، مكتفيا بوصفها من الخارج دون أن نجد أي أثر لإحساس الشاعر بالمدينة، فهو يتحدث عنها كأثر، وكأنه يصف إحدى الأساطير»[2].

---

(1) (تخطيطات على رأس شاعر وعناصر الاغتراب عند ابن الطيب)؛ الأسبوع الثقافي العدد 223/ 17 سبتمبر 1976 ص: 11.

(2) (حسن السوسي: مكانه من الإعراب)؛ مجلة الفصول الأربعة، العدد 64، 65 أغسطس/ سبتمبر1993، ص: 228، 229.

وكذلك يحن محمد المهدي إلى الماضي إلا أنه يريد من العرب أن يقتدوا بأسلافهم في النضال والكفاح حيث يقول في هذا الإطار:

ودمي العربي حديثا مزق أوصال الطليان
ودمي العربي حديثا أزهر في أوراس وفي تطوان
ودمي العربي أخيرا في الدامور سقى الوطن الظمآن.

إذ يشير لهذا المقطع عبد الوهاب الحراري الذي يرى أن «هذه القصيدة تمنحنا تجربة كاملة من حسّه القومي الذي عبر عنه الشاعر في الأبيات السابقة من قصيدة (المطوّف) فهو قد شحن حروف القصيدة بفعاليات الثورة العربية بأسلوب شعري هادئ يحمل مخزونا فنيا مزجه بالبطولات العربية التي خاضها المناضلون في وطننا العربي من ساحل الزيت إلى جبال طوروس»[1].

3.3.5. مأساة فلسطين:

تناول الشعراء ومن بعدهم النقاد مأساة فلسطين، حيث شارك الشعراء الليبيون إخوانهم في الوطن العربي الإحساس بهذه المأساة التي تمس كيان كل عربي حر خالص النسب، فمن خلال تتبعي لآراء النقاد وإشاراتهم حول هذه المأساة في الشعر الليبي وجدت قصائد عدة للشاعر أحمد رفيق تتناول هذه القضية يشير إلى إحداها محمد رضوان حيث «يقف أحمد رفيق المهدوي... إلى جانب فلسطين في مأساتها فيدعو أحرار العرب إلى إنقاذها ومقاومة البغي الذي صرعها فهي قطعة من كبد العروبة، قد جرحها وعد بلفور الأثيم وحقها في أرضها واستقلالها واضح كالشمس لا يحتاج إلى دليل، فيقول:

هـذي فلـسطين العزيـزة جرحـها ... دام يكابـــــد داءه الإســـــلام
لله مـــن كيـــد العروبـــة فلـــــذة ... بالـــسيف يغـــصب حقهـــا وتـــضام
حـق كـضوء الـشمس غـيم حولـه ... مـــن وعـــد (بلفـــور) الأثيـــم ظـلام
وعـــــد عـلى انجـازه قـد أجمعـوا ... رأيـــا يخالـــف حكمـــه الأفهـــام
وإذا فلسطـين العروبة لـــم نذذ ... عنها فإن مصـيرها الإعـــــــدام

(1) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 111.

عار على الأحرار إن لـــم ينقــذوا وطن العروبة والحيـــاة حرام»[1]

بينما يشير طاهر عمران إلى قصيدة أخرى للشاعر نفسه حول مأساة فلسطين، وفيها «يستنهض الهمم، ويعيب على البلاد العربية تمزقها، وفرقتها، واغترارها بوعود المستعمرين الكاذبة، يقول:

فلسطين في الأعماق مازال جرحها يعـــج دمـــا أو أدمعـــا تترقـــرق
متى يشعر الشرق المفرق شمله بما قد جنـــاه شـــمله المتفـــرق
وحتى متى يغتر بالغرب بعد مـــا بدا واضحا فيه الخداع المزوق
فلسطين لولا الغرب ما جاس حولها لشذاذ إسرائيـــل شـــعب ملفـــق
متى يستفيق الشرق أي مصيبة تؤثـــر في إحـــساسه فيحقـــق»[2]

أما الشاعر علي صدقي عبد القادر فقد ذكر النقاد له قصيدتين اهتمتا بمأساة فلسطين، ولعله أجاد في إحداهما وأخفق في الأخرى على ما أظن.

فالقصيدة التي أجاد فيها كانت بعنوان (إلى سرحان في زنزانته) من ديوانه (الكلمة لها عينان) حيث تناول نجم الدين الكيب هذه القصيدة مشيرا إلى تعاطف «شاعرنا مع شعب فلسطين الذي طرد من أرضه وشرد من قراه ومدنه الآمنة، وهي من ناحية أخرى قضية إنسانية تتصل بالحرية، وما أقدم عليه سرحان من عمل كان انتقاما ممن تجاهلوا حقوق الشعب الفلسطيني في بلاده. وأمعنوا في تجاهلهم هذا، إلى الحد الذي تواطأوا فيه مع قوى البغي المتمثلة في (إسرائيل) في كل مساعيها الرامية لإبادة الشعب الفلسطيني ومحو وجوده من الأذهان:

ظل سرحان يسائل
لِمَ لَمْ ألق بصفحات كتابي اسم أرضي؟؟
إنني فتشت في كل الكتب عن بلادي
لم أجد اسم فلسطين على أية صفحة وأملي تُمْحَى كل السطور...»[3].

(1) (الوحدة الوطنية والعربية في شعر رفيق)؛ مهرجان رفيق الأدبي. ص: 136.
(2) النزعة القومية في الشعر الليبي؛ ص: 159.
(3) علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب؛ ص: 185، 186.

بينما أخفق الشاعر في قصيدته (نداء التراب) التي يقول فيها:

ونزحف للنصر في فجر يوم ونمضي إلى الجولة الثانية
إلى وطن قد جرى بالدماء ويهدر في صرخة عالية
يصيح وفي صوته نكهة الترا ب يضوع من الرابية

فقد وصفها الناقد نفسه – ولعله محق فيما ذهب إليه– بأنها عبارة عن رصف للكلمات لا يتجاوز الوصف ولا يحمل عاطفة ولا صورا.. فما سبب ذلك يا ترى؟

فإذا ما حاولنا معرفة سبب إخفاق الشاعر في هذه القصيدة عند أمين مازن لم نجد تعليلا شافيا لذلك، فهو يعلق على القصيدة بأن «نظرة الشاعر إلى القضية الفلسطينية لا تختلف إطلاقا عن نظرة الإنسان العادي، ومسحة الأمل التي حاول الشاعر أن يبني عليها القصيدة هي الأخرى لم تأت ناضجة، وحتى الإشارة التي أومأ بها إلى القوى التي حاكت المؤامرة على فلسطين جاءت باهتة لا تحمل أي وقع»[1].

أما علي الفزاني فتناول المأساة من زاوية أخرى حيث ينبه الشعب العربي –بمن فيهم الشعراء– بأن يستيقظوا حتى لا ينسوا هذه المأساة التي مر عليها أعوام وأعوام، وكفاهم بكاء على الأطلال فهذا شأن الضعاف، يشير لذلك أحمد عطية بأن «قصيدته الرائعة (العقم والأصداء) يهاجم الشاعر بعنف التخلف العربي القديم انطلاقا من ألم عشرين عاما في محنة ضياع فلسطين، وهو يرفض شعر الكذب والبكاء على الأطلال ومناجاة الربيع بينما الأعوام تجري والجوع يمتزج بالحزن، وعار الاحتلال والوطن السليب:

الساعة الحمقاء في الميدان تعلن
القرن مر سيدي لمن تدندن؟
الكأس جف في يدي.. آه
كل الذي بقى من بسمتي على الأفواه

(1) (رأي في ديوان زغاريد ومطر بالفجر)؛ مجلة الرواد العدد 12 / ديسمبر 1966. ص: 19.

الجوع أو أحزاننا الكئيبة الشفاه
الناقة العرجاء ماتت سيدي
وهذه الرسوم والأطلال
نسيت حكاية الهوى، أصابها الملال
وعاد ساعي البريد يسرد الأخبار
عشرون عاما والتتار
ما رحلوا، والعار لم يزل على الجباه عار»[1].

كما يدعو نجم الدين الكيب من خلال دراسته لشعر عبد المجيد القمودي العرب إلى غسل العار والإهانة التي لحقت بهم من الصهاينة الذين شردوا أبناء الوطن العربي في فلسطين واحتلوا أرضه وقتلوا رجاله وأطفاله وسبوا نساءه، فقد آن الأوان كي ينفضوا عن رؤوسهم غبار الماضي ويستفيقوا من غفوتهم بدل المفاخرة بالأمجاد الماضية وذلك بالتخلي عن المواقف السلبية التي أوصلت الشعب الفلسطيني إلى ما هو فيه من ذل وامتهان[2] كما ينبغي ألا ينخدعوا بمشروعات التقسيم اليهودية من منظور الشاعر أحمد الفقيه حسن[3].

ويستغيث الشاعر أحمد بللو في قصيدته (حالتا حصار) بالأمة العربية لإنقاذ فلسطين بقوله:

قلت البلاد محاصرة
فاستعدوا لوقتي
.....
ألا تسمعون
هتاف العصافير عند الصدام
ونار المشاعل بين أصابع زهر الحدائق
لظى في العروق دم في الشوارع.

(1) في الأدب الليبي الحديث؛ ص: 46.
(2) انظر: جذور القومية العربية في الشعر الليبي المعاصر؛ ص: 98، 99.
(3) انظر: النزعة القومية في الشعر الليبي؛ ص: 159، 160.

حيث يتولى جميل حمادة التعليق على هذا المقطع بأن «أحمد بللو يصور مناخ الانتفاضة الناري والدموي بمفردات غاية في الدقة والإتقان، وكأنه كان هناك حيث الإطارات المشتعلة تصبح نار المشاعل بين أصابع زهر الحدائق -ألا وهي أصابع أطفال الانتفاضة- ودماء ثم نخل يجيء ليلقي الشهادة لكل بلاده، إن الشاعر يؤرخ وقته بميلاد نجمها ويعلن أن صوته مكرس لفجر يضيء بنار الحرائق لكل بلاده»[1].

أما الشاعر حسن السوسي فيلجأ إلى الأسلوب السلمي على أمل أن يسترد الشعب العربي في فلسطين حقوقه من خلال قرارات هيئة الأمم المتحدة والهيئات والمنظمات الدولية.. ولكن هيهات أن يستجيب الصهاينة لمثل هذا النداء، ومع ذلك فإن نجم الدين الكيب يستبعد الصلح السلمي الذي دعا إليه الشاعر إلا إذا كان الأمر لمجرد التقريع والتوبيخ، حيث يشير لسياسة إسرائيل بأنه لم «يحدث منذ أن أقامت كيانها العنصري على أرض فلسطين المغتصبة أن التفتت إلى نداءات الأمم المتحدة وقرارتها الدولية، سواء أكانت صادرة عن مجلس الأمن أم عن الجمعية العمومية [أيُّ شاعِر] ارتأى -مجازا- اتخاذ هذه المؤسسة الدولية حائط مبكى لرفع شكواه المرة، وذلك من باب الإمعان في التوبيخ والتقريع، وفي هذه القصيدة [إلى أوثانت] ديوان نماذج يقول الشاعر:

وأنت من باتت الدنيا تؤمله ... لرتق منخرق أو جبر منشعب
وأنت في المجلس المرموق محوره ... وأنت منه مكان القلب والعصب
إليك تلجأ آمال الشعوب إذا ... تهددتها يد التخويف والرهب
تلوذ بالمجلس المأمول راجية ... كما يلوذ صغير خائف بأب»[2]

(1) (أسئلة القصيدة)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 75 / يناير 1994، ص: 56، 57.

(2) جذور القومية العربية في الشعر الليبي المعاصر؛ ص: 56.

4.3.5. مناصرة قضايا التحرر في بعض الأقطار العربية:

قام الشعراء الليبيون بدورهم تجاه إخوانهم في الأقطار العربية الأخرى حيث أبدوا تجاوبهم مع ما يجري على الساحة العربية من أحداث تهز كيان كل عربي، لذلك نجد للشاعر عبد المولى البغدادي قصيدة بعنوان (تأملات في أحداث لبنان) وهي دعوة لإنقاذ لبنان مما حلّ به حيث يرى عبد الحميد الهرامة أن الشاعر «انطلق فيها معبرا عن مرارة الشعور بالهزيمة، والعجز عن إنقاذ لبنان، وعن الفواجع التي حلت بهذا البلد الصغير ففجرت الحقد في أعماق الإنسان العربي، فراح يعلن غضبه على كل المتجرين بمصير أمته وكرامتها:

صرح لبنـان قـد تهـدم باسـمي ... لا تدينـوا بهدمـه أي خـصم
أنـا حطمتـه ولم أك أدري ... أن أنقاضـه دمـائي ولحمـي
سـكنت ثـورتي ومـات شـعوري ... وانتهـت قـصتي نهايـة شـؤم
واعترتنـي زوابـع مهلكـات ... زلزلت صـبري العنيـد وعزمـي»[1]

أما الأحداث في سوريا ومقاومتها للغزو الفرنسي الذي كبدته خسائر فادحة، وألحقت به هزيمة نكراء، وبذا انتصرت إرادة الشعب العربي، فمن خلال قصيدة (يالَثأر العرب) للشاعر علي صدقي عبد القادر من ديوانه (أحلام وثورة) التي يشير لها نجم الدين الكيب ويرى أن الشاعر فيها «يذكّر فرنسا بما لقيته من دروس مريرة في سوريا العربية، فبالرغم من عربدات جيوشها الجرارة وأسلحتها المتطورة، فقد واجهت هناك الهزيمة النكراء والضربات الموجعة بيد عربية شديدة البأس والعناد والضراوة:

يا دم المستشهد الحر الذي لاقى الفضاء
يا دموع اليتم في جفن البنين، التعساء
يا نشيج الأم والزوجة، إذ يأتي المساء
سوف لن يذهب هذا الدمع أو تلك الدماء
إنها تدعو [لأخذ الثأر]، [2] ثأر الشهداء

(1) (من عيون الأدب العربي في ليبيا)؛ مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد 1/ 1984-1985، ص: 149، 150.

(2) ورد في الأصل المنقول عنه (إنها تدعو للثأر). انظر: المجموعة الكاملة للشاعر؛ ص:164.

من دخيل يده كم أعدمت من أبرياء
سوف تلقين (فرنسا) من بني العرب الجزاء
إن في (سوريا) لرمسا
قبرت فيه (فرنسا)»[1].

كما يشير في القصيدة نفسها إلى كفاح الشعب التونسي ضد العدو المشترك (فرنسا) التي فرضت الحماية الفرنسية على هذا القطر الشقيق أكثر من سبعة عقود كاملة «وهو يذكي فيه جذوة النضال مؤكدا بأن ما يبذله من دماء طاهرة في سبيل الحرية سوف يثاب عليه بعد أن تدرك فرنسا أن سفك الدماء لا يجديها نفعا وليس أمامها بعد ذلك سوى التسليم بحق الشعب في الحرية والاستقلال:

اشعلي يا نار في (الخضراء) فالعادي الوقود
واغسلي بالدم ما خطت يد الباغي العنيد...»[2].

وممن تأثر بأحداث تونس وما ذاقت علي يد الغازي الفرنسي أحمد رفيق الذي بدأ يناشد العرب للوقوف مع أشقائهم في تونس، هذا الاحتلال الغاصب في قصيدة معبرة ومؤثرة، نجد ذلك في تحليل محمد رضوان بأنه لما «ثارت تونس ضد الاستعمار الفرنسي عام 1953 تريد استقلالها، وخاضت مع الفرنسيين معركة دامية، نهض رفيق يبكيها ويدافع عنها، مبينا فظائع الطغاة، داعيا الشرق إلى وحدة تساعد الشقيقة المجاهدة وتمكنها من النصر والاستقلال، وذلك في أبيات منها:

شقيقتنا بنت العروبة تونس ... تقلب في جمر الطغاة وتحرق
يضام بها الشعب المطالب حقه ... ويعدم رميا بالرصاص ويشنق
لقد برهن الشعب الفرنسي أنه ... بعيد عن العدل الذي يتخلق
ألا أيه الشرق انتبه إن تونسا ... عليها جميع الغرب بالجور مطبق
إذا لم تدافع كتلة عربية ... يقام لها ميزانها حين تحنق

(1) علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب؛ ص: 151.
(2) المصدر نفسه؛ ص: 150.

ويتحد الشرق الضعيف فإنه على ضعفه بالاتحاد يوفق
فما حيلة الشعب المجاهد وحده (ألا إن كفاً وحدها لا تصفق)»[1]

ومن تونس إلى أرض المليون شهيد والمتمثلة في فتاتها المناضلة جميلة بوحيرد التي أهداها الشاعر علي صدقي عبد القادر قصيدته التي بعنوان:(جميلة و.. منديل البنفسج) من ديوانه (صرخة) التي يشير لها نجم الدين الكيب بأنه على الرغم من «أن العيد يعيش مع جميلة في سجنها المظلم الذي اختاره لها أعداء حرية الشعوب، فإن شاعرنا يتنبأ بعودة الحرية المسلوبة، وذلك بإرادة الشعب الجزائري الثائر:

وإلى أن يفتح الثائر أبواب المدينة
سيظل العيد في سجن (جميلة)
معها في قيدها يبقى سجينا
وغدا ينطلق العيد ومنديل البنفسج و(جميلة)
ويدوس الشعب سجّان الحياة»[2].

كما يتناول الناقد نضال الشعب الجزائري عند الشاعر خالد زغبية في قصيدته التي يقول فيها:

يا جميلة، يا نسيما في خميلة
من ربى (أوراس) يسري
عبر أنحاء الجزائر
قد مضى يسبح في الجو
يجتاز التخوم

حيث يعلق الناقد على هذه القصيدة بأن «...(جميلة) الفتاة الجزائرية التي صارت رمزا للنضال الوطني الجزائري تغنى بها الشعراء كلٌ بطريقته، وكلٌ بأسلوب، ويكتفي خالد زغبية بأغنية يهديها إليها تعبيرا عن تضامنه وتجسيدا لغيرته على قطر عربي يواجه أعتى قوى الظلم والتسلط والتقتيل، والقصيدة (أغنية إلى جميلة) من وجهة نظرنا هي عرض سريع لا يغوص كثيرًا

(1) (الوحدة الوطنية في شعر رفيق)؛ مهرجان رفيق الأدبي.ص: 136، 137.
(2) جذور القومية العربية؛ ص: 65.

في العمق الشعري، وإنما هي ترنيمة يتردد فيها التنويه ببطولة المرأة العربية الجزائرية في شخص (جميلة) وكيف صارت أغنية على كل لسان، ونبعا لشحذ الهمم وأهزوجة للكفاح المظفر»[1].

ومن خلال ما تم نقله من نصوص تتعلق بالقضايا القومية نلحظ أن النقاد لم تكن لهم مواقف نقدية وآراء موضوعية، وإنما هو شرح ونثر لكلام الشعراء، وسرد ممل قليل الفائدة، وقد نقلت كلام النقاد في هذا الجانب بالرغم من عدم وجود مواقف أو قضايا نقدية حتى يعيد النقاد النظر في دراساتهم، ومحاولة تعميقها في محاولة لإثراء النقد في هذا الجانب الذي لم يحظ بالكثير من الاهتمام.

4.5. القضايا الإنسانية العامة:

في هذا المبحث أتناول القضايا الإنسانية التي تهم البشرية جمعاء، بعيدًا عن العرق والجنس والدين واللغة، لأن الإنسان يحس ما تعانيه الإنسانية المعذبة من آلام، فكان هذا محور تأثر الشعراء وانفعالهم بما يدور في العالم من أحداث تمس الإنسانية من قريب أو بعيد بحيث يسعون إلى تخليص البشرية المعذبة من آلامها وآثامها في محاولة للرقي بها إلى درجات السعادة والكمال.

ولقد أسهم الشعراء الليبيون –كغيرهم– في هذه القضايا، مما يدل على أن الشعر الليبي يمثل درجة رفيعة في هذا المضمار، وأن له قدما راسخة في التجارب الإنسانية، إذ إن الأدب بخروجه عن الإقليمية الضيقة، وبتناوله للقضايا الإنسانية العامة يضمن له الخلود والبقاء، كما يسهم في إثراء الرصيد الإنساني بالتجارب الحيوية والفاعلة التي تهدف إلى رقي الإنسان وسعادته فوق هذه الأرض، بعيدا عن المشاحنات والأغراض الدنيا.

كما تناول النقاد إسهامات الشعراء الليبيين في هذا المجال بالرغم من محدودية القضايا التي تناولوها، ولهذا السبب جعلت محور دراستي في قضيتين هامتين تمركزت حولهما دراسات النقاد:

---

(1) المصدر نفسه؛ ص: 86، 87.

1.4.5. قضية الحب الإنساني العام:

يتناول النقاد في هذا الجانب الحب الإنساني بمفهومه العام الذي يدعو إليه نقاد العالم وشعراؤه على السواء حتى يعم البشرية بعيدا عن الحرب والاستغلال والخديعة، الحب الذي ينبغي أن يعم العالم بإزالة الحواجز والعقبات التي تعترض مسيرة الحضارة الإنسانية، ونبذ الخلافات بين الإنسان وأخيه الإنسان في كل مكان، فلا أحقاد ولا أطماع ولا أهواء ولا ميول شخصية كي يحل الحق والعدل والإنصاف والفضيلة.

وفي مقدمة الدعاة للحب والسلام الشاعر إدريس بن الطيب الذي يدعو إلى الحب والمساواة بقوله:

الحب عندنا الصلاة والرحمة والعبادة
أو دعوة مجابة
الحب في قاموسنا أسمى من التهريب والرقابة
الحب طفل.. ثورة.. عينان عذراوان
الحب أن يواسي الدهر دمعة الأطفال
الحب في قاموسنا رابطة لا تعرف المكان والزمان.

فالشاعر بتناوله للحب الإنساني العام بلغ به قمة المشاعر الإنسانية، لا كما استعمله الكثير من الشعراء عبر العصور لا يتجاوز الإطار الذاتي.

وهذا ما جعل فاطمة نداف تصفه بأنه ارتقاء عن الحدود، كما أنه ارتقاء عن الأطماع والأحقاد، إلى عالم الإنسانية المثالية الذي يشكل الحب أحلى قسماتها، حيث تعلق على هذه الأبيات بأن الشاعر يبلغ «درجة من الارتقاء تجعله يتخطى الخارطة الجغرافية إلى حدود ليس لها حدود، إنها الإنسانية، أوليس حب الإنسان قمة الارتقاء حين تتلاشى أظافر الجشع، وتتبدد ظاهرة العدوان والطمع؟ أوليس رائعا أن يستعير الشاعر لغة البشرية كلها، ويفرش على هذه اللغة عالمه الخاص حيث يبث أشجانه وأحزانه وأحلامه المورقة فيحملها أكثر مما تطيق، وينطقها بما لا تحتمل، ويبث فيها عالما غريبا خاصا هو عالمه ومواجده؟»[1].

(1) (تخطيطات على رأس شاعر)؛ الأسبوع الثقافي العدد: 223 / 17 سبتمبر 1976 ص:11.

من تلك المشاهد الإنسانية العاطفية التي تحمل في طياتها محبة إنسانية عالية ما أشار له عبد الوهاب الحراري في قصيدة (شكوى طفل) للشاعر مصطفي العربي في ديوانه الورد الأبيض حيث «تزداد لوعة الشاعر وحرقته من خلال هذا المشهد الدرامي فتنبري في جوانح الشاعر صورة من التحفز والنداء والاستغاثة والتألم لواقع هؤلاء الأطفال، فتنعجن ذاته بين ذواتهم، ويتحسس طريقه إلى قلوبهم حتى يصبح جزءا من كياناتهم الصغيرة الحزينة، فتندمج شخصيته مع عينين متوثبتين لطفل أسمر يناجيه في براءة الأب لطفله:

شدت كفي كف طفل أسمر
وهو يقول بصوت أخضر
زاهٍ مثل ربيع مزهر[1]
حلو كتلاحين المزهر
(بابا.... ماما)
في عينيه قرأت كلاما
شعرا.. قد أفعم آلاما
شكوى من خلق وحشي
مملوء شرا.. إجراما
(بابا.... ماما)»[2].

كما تحمل قصيدة (لست نازيا) للشاعر محمد الشلطامي دعوة صريحة للحب والسلام العالمي، بعيدا عن قوى التسلط والهيمنة، ويمهد زياد علي لهذه القصيدة بأنها «غير محتاجة للتعامل معها تحت ظروف زمان أو مكان معينين.. إنها جواز سفر إنساني عالمي للشلطامي للوصول إلى عالم أفضل، يقول في قصيدته والتي جاءت في الغلاف الخارجي لديوانه (تذاكر الجحيم):

لست نازيا، ولم أحلم بمجد البندقية
حينما تصبح في مقبرة الشرق إلها

(1) في الأصل (أزهر). انظر: ديوان الورد الأبيض؛ للشاعر: مصطفي محمد العربي؛ الطبعة الأولى 1980، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان / الجماهيرية، ص:29.

(2) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 121.

عابسا يخلق إنجيلا جديدا
لا ولم أكره يهوديا، ولم أدعُ لتلوين جوازات السفر
ويدي ما اعتادت السيف، ولم تحفر قبور الآخرين
فلماذا اعتبرتـْني
هيئة التحقيق في محكمة السلطان مارقا؟»[1].

هذه الدعوة إلى المساواة والحب والتعاون بين الإنسانية جمعاء نجدها واضحة جلية في شعر علي الفزاني، ولو اقتضاه الأمر في سبيل هذه الدعوة إلى التضحية بحياته حيث يقول:

ها أنا أركز هذا الحرف راية
ها هنا في الأرض صوتي، والصدى في اللانهاية
لن تراني في المحاريب خضوعا وتذلل
ثائرا ما زلت أهفو، رافضا عاد التسول
إنني أبغي رغيفا لفقير ويتيم، ووجوها تتهلل
ارحم الإنسان يوما، ثم دعني في دجى السجن مكبل
أنت تدري
صيروا الإنسان تمثالا وهيكل.

فمنذ النظرة الأولى نتبين اللحن اللغوي الذي ترزح القصيدة في أغلاله، ولكن من الجهة الإنسانية فإن عذاب الركابي يعلق على هذا المقطع من القصيدة مبينا أن الشاعر يعيش قضية إنسانية عامة ملكت عليه مشاعره وسيطرت على أحاسيسه فما «من شيء غير الإنسان الجائع الفقير اليتيم والمضطهد، إنه قضيته الساخنة، نبتة قلقة التي تمتد في دقائق جسده، فلن يهمل شخصا كـ (والت وايتمان) الأمريكي الملحمي - عشير الناس ورفيقهم- ولن يقبل شيئا لن يناله البشر إلا سواسية مؤمنا بأن (علاقة الإنسان ينبغي أن تعتمد في الأساس على إزالة الحواجز بين إنسان وآخر) كما يقول سعدي يوسف»[2].

(1) والكلمة أطول عمرًا؛ ص: 99، 100.

(2) (الشعراء يزرعون الضوء)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد 20 / 1982، ص: 177.

كما تطالعنا قصيدة (موت جيفارا) للشاعر نفسه تدعو إلى المحبة الإنسانية متمثلا بقول عمر بن الخطاب: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا» وقد تتبع محمد حسن دعفوس أبيات القصيدة معلقا عليها بأنه في «مطلع ظهور (تشي جيفارا) في الثورة الكوبية، سلب هذا البطل المثالي في تلك الأعوام كل أماني وأحلام الإنسانية المتعطشة للحرية والخلاص، ولكن مهلا فالشاعر لم ينته بعد من رؤيته للغد الماثل أمامه:

مات جيفارا ولكن.. لا تعجل
يولد الإنسان حرا، ثم يقتل
غير أن الحب أقوى
وطريق الخير أنأى
ودروب الحب أفضل.

وحتى في موت ذلك البطل.. الذي أغرى الكثيرين بإنسانيته وبطولاته وحبه للحرية والكفاح من أجل الإنسان.. ومن أجل السعادة، فإن الإنسان باق، والإنسان وحده يولد ويموت، وأمامه طريق الحب الذي عبر عنه الفزاني بشكل قوي وجميل في وقت مبكر»[1].

2.4.5. حرية الإنسان:

من آثار هذا الحب الإنساني العام يحتاج الإنسان إلى الحرية يحفظ بها كرامته، حيث طرق الشعراء هذا الجانب وأولوه اهتمامهم وخصصوا له جانبا كبيرا من أشعارهم، فمن ذلك أشعار الشاعر علي الفزاني التي يدعو فيها إلى حرية الإنسان في كل مكان «أليست أنغام الحرية هي الظاهرة الإنسانية التي تجتاح العالم، ولا تكبده الخسائر بقدر ما ترسي دعائم الحب.. ومحاولة لتشييد المدن الفاضلة والعالم السعيد، وفي محاولة أخرى جميلة وبديعة، ولكنها مؤلمة ومقيدة، يضع علي الفزاني شيئا ما للغد دون أن يعلم ذلك الغد بشكله أو رؤياه:

آه.. فك أسري، فك قيدي
فكني أو أتمرد
إنني الفكر تجسد
في قصيد ثائر النغم معربد

(1) (المعاصرة والأسفار والآخرون)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد64،65. أغسطس، سبتمبر1993، ص: 65.

وفكرة التمرد هنا، هي الفكرة القديمة، التي تعني رفع السلاح في وجه الآخر، أيًا كان ذلك الآخر، ولكنه يضع النقاط على الحروف (إنني الفكر تجسد)»[1].

كما نلمح دعوة للحرية الإنسانية في شعر خالد زغبية التي يدعو فيها إلى عالم يعمه السلام والأمن والحرية، «فالشعر في رأيه ثورة الكلمة المقاتلة التي لا بد أن تستقي معناها من الواقع ومن حياة الجماهير بعيدا عن المجازات والتشبيهات والتعابير اللغوية المركبة والحروف المبهمة الجوفاء، والكلمة التي تستل انطلاقها من أرضية الوطن، من قضايا الإنسان مباشرة، هذه المتجهات تتجمع في فكر خالد وعقائده، وتصب في داخل كلماته خصلات الضوء ممزوجة بآلامه الهادئة الخلاقة ومعاناته الصادقة الحقيقية نحو هذه المحاور التي تلفظها الحقائق:

خجل أن يصمت الحرف
فلا يشدو بعذب الأمنيات
أو يصدع الشمس آمالا
وأحلاما ونجوى
يفرش الدرب ربيعا، وفراشات وسلوى
للأزاهير الندية التي ما عرفت للخوف معنى»[2].

ولكن الناقد بلغ به الشطط منتهاه حين وصف فكر الشاعر بأنه بعيد عن المجازات والتشبيهات والتعابير اللغوية المركبة.. إلى غير ذلك من الأوصاف التي يَصِمُ بها اللغة.

فالحرف والكلمة والتعبير اللغوي والمجازات والتشبيهات هي وسائل للتعبير، يقوم الفنان الماهر باستخدامها استخداما جيدا، من خلال شحنها بالعواطف والأحاسيس والانفعالات.

أما ما عده النقاد من القضايا الإنسانية من خلال تعرضهم لدراسة قصيدة أحمد رفيق في رثاء الشاعر الإيطالي (دانونزيو) التي أشار لها عبد المولى البغدادي من أن الشاعر «في رثائه لدانونزيو يرتقي فوق مستوى الخلافات والمشاحنات، ويضرب بكل الصراعات وأنواع النزاع عرض الحائط، ليحلق في جو إنساني بديع، بعيدا عن الحزازات وأنواع التعصب لدين

(1) المرجع السابق؛ ص: 66.

(2) قراءات في الشعر الثوري؛ ص: 86، 87.

أو جنس أو لغة، فهو لم يلحظ في دانونزيو غير روحه الشاعرة، التي حامت حول كثير من المواضيع البعيدة عن السياسة، كما يرثي العبقرية والنبوغ في هذا الشاعر، ويناجي شاعريته بغض النظر عن أصله وجنسه وميوله السياسية... ونخلص من هذا إلى أن وطنية رفيق هي أكبر وأعمق من أن يختلف في حقيقتها وصدقها اثنان، وأجل وأرفع من أن تكون مثارا للتشككات لمجرد استيعابها لبعض المعاني الإنسانية في صورتها الواسعة»[1].

فهذا القول يجانب الصواب من بعض الجوانب في نظري، فالصراعات التي يريد الناقد أن يضرب بها عرض الحائط هي صراعات جوهرية، صراعات وجود، جند رفيق نفسه من أجلها دفاعا عن وطنه وقضاياه، وبهذا استحق لقب شاعر الوطن، أما كونه لم يلحظ إلا روح دانونزيو الشاعرة التي حامت حول كثير من المواضيع البعيدة عن السياسة، فهذا مالا يقره دين أو عرف أو أخلاق، إذ إن دانونيزيو «كان شاعرا ماديا بكل ما في هذه الكلمة من دلالات الحسية الغريزية المقبلة على الحياة بكافة جوارحها وأحاسيسها»[2].

ويؤكد على هذا المعنى الناقد الإيطالي (فلورا) بقوله: «إن دانونزيو ليس هو صوت إنسانيتنا السامية حتى عندما يتخلى عن الحسية، ولكنه صوت الإنسانية التي تعني الجنس والمادة»[3].

أما من حيث وطنية رفيق فلا يختلف في أمرها اثنان، ولكن ليس من الجانب الذي أشار إليه الناقد، وإنما من جوانب أخرى حيث أرجعها بعض الشعراء والنقاد إلى أن نظرته كانت للناحية الفنية في شعره، كما ذهب لذلك الشاعر حسن السوسي بقوله: «هذه من الأشياء التي عندي عليها تحفظ من حيث أن رفيقا لـم يقصد (دانونزيو) شاعر الفاشست، أي أنه مجد فيه الشاعر، مجده للناحية الفنية فيه»[4].

---

(1) (نظرات في شعر رفيق)؛ مهرجان رفيق الأدبي، ص: 230، 231.

(2) رفيق شاعر الوطن؛ ص: 194.

(3) المصدر السابق؛ ص: ن.

(4) (حوار مع حسن السوسي)؛ مجلة الفصول الأربعة العدد64، 65 أغسطس، سبتمبر1993. ص: 170.

ولكني أتساءل: هل قرأ رفيق لهذا الشاعر؟ وهل كان يجيد اللغة الإيطالية إجادة تامة تمكنه من الإطلاع على الناحية الفنية في شعره؟ ربما تكون الإجابة عن هذين السؤالين بالسلب يبقى هناك احتمال آخر وهو الأقرب للصواب، هو جهل رفيق بحقيقة الشاعر كما ذهب لذلك خليفة التليسي[1] إذ في اعتقادي أن جل ما كان يعلمه رفيق عن هذا الشاعر الإيطالي ما كانت تنشره الصحف والمجلات التي كانت تصدر في ليبيا وبإشراف الحكومة الإيطالية آنذاك.

فقد نشرت مجلة ليبيا المصورة عقب نبأ موت دانونزيو مباشرة[2] مقالا بعنوان: (دانونزيو الشاعر البطل) وكان مما نشر فيه: «كانت كل روايات دانونزيو يطبعها بطابع شخصيته الجبارة التي تقودها نفس شهوانية عطشى للذة الحياة ومتاعها، ويلونها بلون طبيعي وخيال راق وتحليل دقيق... فنشر في عام 1899 روايته المسرحية الشهيرة (جوكوند)، فكان أول تأليف مسرحي لدانونزيو اهتم له الجمهور وتناوله كثير من الأدباء بالنقد والتعليق، وقد كان جل الانتقاد للكتاب موجها إلى الوجهة الأخلاقية وحدها، ومثلها لاقت من النقد والتعليق (فرنشسكا داريمني)، وما دام قد بدأ الكتاب والأدباء يهتمون لما يكتب، ويتناولوه بالنقد والتعليق، فكان ذلك أكبر دليل على عظمة الشاعر»[3].

وهذا الذي ذكرته المجلة لا يعد دليلا على عظمته، ولكن دل على شهرته، لأنه كان من الموالين للحزب الفاشستي، وبهذا حظي أدبه باهتمام الأدباء والنقاد في عصره، كما لا يمكن عده شاعرا إنسانيا كما ذكر عبد المولى البغدادي إذ «لم يكن دانونزيو شاعرا إنسانيا، وهو لا يعيش بين الشعراء بنزعة إنسانية، ولكنه كان شاعرا قوميا بأضيق حدود القومية حيث تعني التعصب والعنصرية وتمجيد الدم الذي ينتمي إليه، والسمو به إلى مكانة أعلى من أن ينالها أي عرق»[4].

---

(1) انظر: رفيق شاعر الوطن؛ ص: 195، 196.

(2) أشارت المجلة لوفاته بعنوان بارز تقول فيه "مساء أول أمس توفي فجأة بقصر (الويتوربالي) في غاردون...إلخ.

(3) (دانونزيو الشاعر البطل)؛ و. ب، مجلة ليبيا المصورة، العدد:6 السنة الثالثة، مارس/ 1938، ص: 10، 11.

(4) رفيق شاعر الوطن؛ ص: 190.

إضافة إلى ما ذكر فقد «كان استعماريا مجد الحملة الإيطالية على ليبيا، ووجد في الحرب فرصة تتفجر فيها الطاقات الكامنة في أمته، وقد حاول إذكاءها بشعره وكلماته»[1] مما يدل دلالة قاطعة على أن رفيقا لم يعرف الشاعر معرفة تامة، كما أنه يختلف عن رفيق قلبا وقالبا، وهذا ليس مجال طعن في وطنية رفيق، ولكن كل ما هنالك أن شهرة الشاعر جعلت رفيقا يرثيه لا لشخصه ولا لأدبه، ولكن لما نال من اهتمام وإشادة به بعد وفاته، وبما اكتسبه من شهرة أثناء حياته، لارتباطه الوثيق بعصره وبقضايا أمته وحكومته الفاشستية والناطق باسمها.

(1) المصدر نفسه؛ ص: 191.